الغارات اليونانية والعربية
بين الحقيقة التاريخية والصياغة الأدبية

د. صلاح السيد عبد الحى
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

مقدمة البحث :-

لقد تداخل اليونانيون " Hellenes " والعرب " Arabes " معاً منذ عصور وقرون قديمة وموغلة فى القدم ؛ إذ يمتد هذا التداخل على مدى عدة آلاف من السنين . مما أدى إلى وجود أخذ وعطاء وتأثير وتأثر فيما بينهما . وقد كان هذا التأثير والتأثر وراء تكّون وتميّز الشخصيتين اليونانية والعربية . وقد لفت ، هذا التداخل القديم ، الأنظار إلى إمكانية انتقال عادات وتقاليد لم تكن موجودة لدى طرف ، فانتقلت إليه من الطرف الآخر . إذ أن انتقال الأفكار التى تؤثر فى الحركة التاريخية ، وفى الطفرات الحضارية ، لا تعرف الحدود أو الفواصل أو حتى القوميات والأصول العرقية .

لقد اتصف العرب قبل الإسلام بالعدوانية والهجوم والغارة على بعضهم البعض ، وقد لخّص أحد شعرائهم هذا بقوله : " وأحياناً نكر على أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا " . وكانوا يلجئون إلى مثل هذه الغارات عندما تشح السماء بأمطارها وتضن الأرض بمحاصيلها. فلا يبق أمامهم سوى الغارة على جيرانهم الذين يعيشون فى بحبوحة من العيش أفضل منهم . ولا يصدهم عن هذه الغارات أواصر علاقة أو رابطة ما . ومن ثم ظهرت الشخصية العربية – قبل الإسلام – فى صورة الشخصية الفردية ، التى لا ترعى إلا صالحها وذاتها ، وقد ظهر هذا المعنى على حساب معانى العدل

والموضوعية والتعاون والإخاء [١] . ولكن يجب ملاحظة أن العرب لم يكونوا هم أول من اتسم بالنظرة الفردية وحب الذات ، أو أنهم أول من غار على الآخر كى يحيوا هم ، أو أنهم أول من غار على الأقارب و الأصهار من القبائل ؛ فقد سبقهم إلى ذلك الشعب اليونانى القديم .

فعند تصفح وتفنيد ما خلّفه اليونانيون من تراث ؛ نجد أنهم كانوا يقومون بمثل هذه الغارات على بعضهم البعض . إذ كانت كل دولة مدينة " Polis " تطمع فى خيرات جارتها ، وترغب فيما لديها من خيرات ، هى نفسها محرومة منها . وقبل ظهور دولة المدينة ، كانت القبائل اليونانية التى تحى الحياة البدوية ، تغير على بعضها البعض هى الأخرى .

وبناء على ذلك فسوف يتناول البحث الغارة وأسبابها وصورها ونتائجها لدى اليونان قبل الميلاد ، والعرب قبل الإسلام . وذلك من خلال الكتابات الأدبية اليونانية المتنوعة ، وما قاله شعراء العرب قبل الإسلام ، وهو ما يُعرف بالشعر الجاهلى . وسوف تأتى هذه الدراسة فى النقاط التالية:

١) التشابه بين اليونان والعرب .
٢) العلاقات اليونانية والعربية والاتصال فيما بينهما .
٣) الغارة على الآخر فى الأدب اليونانى .
٤) الغارة فى الأدب العربى .
٥) نتائج البحث .

أولاً : التشابه بين اليونان والعرب :

إن مصدر المعرفة بأحوال العرب قبل الإسلام هو ما خلفوه من شعر، عُرف باسم " الشعر الجاهلى " . وكذلك كان الأمر مع الحضارة اليونانية ، والتى كان مصدر المعرفة بها ما ذكره هوميروس " Homeros " فى ملحمتيه الخالدتين الشعريتين الإلياذة والأوديسية . فلقد صور هوميروس فى ملحمتيه جميع مظاهر الحياة اليونانية . وكذلك كان الأمر مع الشاعر

العربى قبل الإسلام ، فقد صور حياته كاملة فيما خلفه من شعر . فالشعر فى كلتى الحالتين يُعد مصدراً لتلك الدراسة وهو لا يقل عن المصادر التاريخية الأخرى ؛ حيث أنه يمثل وثيقة الشعب والمجتمع بأكمله ، كما هى السجلات الحكومية وثيقة الطبقة الحاكمة [٢] .

عند النظر فى جغرافية بلاد اليونان والعرب ، نجد هناك ثمة تشابه وتقارب ما ، وكذلك نجد كم كان لهذه الجغرافية الطبيعية من التأثير على الأحوال السياسية والاجتماعية لشعب بلاد اليونان ولسكان منطقة الجزيرة العربية . وإن المراحل التى مر بها مجتمع الجزيرة العربية خلال الخمسة قرون السابقة على ظهور الإسلام تتشابه مع مراحل تكّون وظهور المجتمع والحياة اليونانية قبل الميلاد ؛ فمن قبائل متفرقة إلى توحد هذه القبائل وظهور المجتمع الواحد والشعور والهدف الواحد [٣] .

أ) جغرافية بلاد اليونان :

تبلغ المساحة الجغرافية التى تشغلها بلاد اليونان خمسين ألف ميلاً مربعاً من الجزء الجنوبى الشرقى من قارة أوروبا . وهى أرض جبلية قليلة الخصب ، وتشغل هذه الجبال نحو أربعة أخماس المساحة الكلية لبلاد اليونان . وتنقسم البلاد بسبب جبالها إلى عدة مجموعات من الوديان التى لا ترتبط ببعضها البعض ، وتعيش فى عزلة وانفصال [٤] . وكما كانت جبال اليونان من عوامل العزلة والفصل بين أجزاء اليونان فقد كانت أنهارها أيضاً . لم تكن أراضى بلاد اليونان ، كما هى أراضى مصر وبلاد الرافدين ، أرض سمراء شديدة الخصوبة، ولكنها كانت أراضى فقيرة رقيقة لا تنتج غير عدد قليل من المحاصيل ؛ مثل الكروم والزيتون، والقليل جداً من الحبوب [٥] .

وعلى ذلك يمكن وصف أرض بلاد اليونان بأنها أرض الجبال ذات الأحجار الجيرية والأودية الضيقة والخلجان الطويلة الممتدة ، والقليل من الأنهار والكثير من الجزر والبروز الجبلية . يوجد بها قليل من السهول

الضيقة التى لعبت دوراً هاماً فى اقتصاد البلاد . والبعض من هذه السهول ساحلى مثل سهل أخايا " Achaia " الضيق الخصب والممتد بطول الساحل الجنوبى للخليج ، وهو على العكس من سهل لاكيدايمون " Lacedaemon " الداخلى . فى حين نجد سهول ثيساليا " Thessalia " وبويوتيا " Boeotia " ، يحد الأول منها الجبال من جهة البحر ويمثل الثانى منها أرض خصبة وجيدة للمراعى . وأرض اليونان فقيرة فى معادنها ؛ إذ تم اكتشاف الذهب والفضة والرصاص والنحاس بها ، ولكن بكميات قليلة ، ولم يكن هناك حديد ولم تعرف بلاد اليونان الفحم على الإطلاق [٦] .

ب) جغرافية بلاد العرب :

تتشابه جغرافية الجزيرة العربية مع جغرافية بلاد اليونان فى كثير من النواحى الطبيعية . فالجزيرة العربية كلها صحراء خالية تماماً من الأنهار ، وبها مجموعة من الوديان جافة معظم شهور السنة ، لا يسكنها العرب إلا عند هطول الأمطار . ويحدث ذلك لمدة ثلاثة أشهر فقط فى السنة. وفى وقت الجفاف يهرب السكان إلى التخوم الواقعة بالشمال والجنوب وبجهة الغرب . وتحيط الجبال بالجزيرة العربية من جهة الشرق والغرب [٧].

وكان سكان هذه التخوم يحيون فى عزلة عن جيرانهم . وذلك بسبب المظاهر الجغرافية التضاريسية التى قسَّمت الجزيرة العربية إلى أجزاء معزولة عن بعضها البعض . وكان لكل منطقة خصوصيتها ونظامها الذى ابتغته لنفسها . فقد كانت حياة سكان المنطقة الشمالية ومواردها التى تعتمد عليها تختلف مع حياة وموارد عرب الجنوب ، وهذان بخلاف عرب شرق الجزيرة ، وكذلك العرب الذين يحيون بغربها [٨] . وكان يُطلق على سكان شمال الجزيرة العربية اسم العدنانيين ، بينما عُرِفَ سكان الجنوب باسم القحطانيين ، وكان العداء دائماً مستحكماً فيما بينهما [٩] .

وكانت المنطقة العربية تحتل الجزء الجنوبى الغربى من قارة آسيا . وكانت المنطقة الواقعة شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام تُعرف باسم آسيا الصغرى . وقد تشابهت جغرافيتها كثيراً مع بلاد اليونان ، من حيث كثرة الخلجان والسواحل المائية ، مما كان له عظيم الأثر فى تفضيل الشعب اليونانى لتلك المنطقة ، على غيرها ، عندما فَكَرَ فى التوسع والانتشار والخروج من حدوده الجغرافية والنظر إلى أراضى الغير واحتلالها .

وهكذا فلقد كان للجغرافية أثرها فى ظهور الغارة لدى الشعب اليونانى . إذ عندما زاد عدد السكان اليونان زيادة أعظم من موارده وأكبر من مساحة أرضه ، وعرف الشعب اليونانى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، فقد رأى أن الحل الأمثل لحل مشاكله جميعها ، الاقتصادية والاجتماعية وأيضاً الجغرافية ، هو الغارة على الآخر ومهاجمته واستعمار أرضه. ومن ثم فقد كانت الغارة على الآخر واستعماره بمثابة صمام الأمان للوجود اليونانى (١٠) . ويرجع ذلك التوسع وهذا الانتشار فى تاريخ الحضارة اليونانية إلى أيام الحضارة الموكينية ، وكانت الفترة من ٧٥٠ وحتى ٥٥٠ ق.م. تمثل قمة التوسع والانتشار خارج الحدود اليونانية والسيطرة على أراضى الغير . وكان الاستعمار والانتشار خارج الحدود الجغرافية اليونانية، ومهاجمة حدود الآخرين ، سمة من السمات التى ميزت الشعوب اليونانية دون غيرها من شعوب الشرق وشعوب الحضارات القديمة (١١) .

ج) النظام السياسى فى بلاد اليونان :

سبق القول بأن التضاريس الجغرافية كانت سبباً فى تقسيم اليونان إلى جزر ومناطق منعزلة بعضها عن بعض ، وأقد أدت هذه العزلة الجغرافية إلى عزلة سياسية وفكرية ، مما أدى إلى ظهور دويلات صغيرة عديدة منفصلة على مسرح الأحداث السياسية اليونانية . وعُرِفَت هذه الدويلات باسم الدول المدن " Poleis " اليونانية . وكانت كل بوليس " Polis "

تشعر بالحرية والاستقلال السياسى عن باقى الدول المدن الأخرى ، مما أدى إلى قيام التناحر والحروب فيما بينهم (١٢) .

وكانت الحروب والمنازعات تستمر بين هذه الدول المدن لأكثر من عشرة أعوام ، كالحرب بين أثينا " Athenae " وإسبرطة " Sparta " فى الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م، وكذلك بين أثينا وجزيرة أيجينا " Aegina " فى النصف الأول من ذات القرن . وبسبب روح الانفصال التى سادت بين هذه الدول المدن ، فلم تستطع أن تواجه الأخطار المحدقة بها. ومن ثم فقد كانت الأخطار الخارجية شر مستطير بالفعل على بلاد اليونان . وذلك مثل الخطر الفارسى الذى هاجم بلاد اليونان ٤٩٠ ، ٤٨٠ ق.م ، وكذلك خطر الاجتياح المقدونى لمدن بلاد اليونان فى النصف الثانى من القرن الرابع ق.م . وبسبب العزلة القومية للدول المدن اليونانية فلم تستطع أن توقفه أو تصده (١٣) .

لقد كان قيام الغارات والحروب بين الدول المدن اليونانية وانتصار إحداها على الأخرى ، سبباً فى قيام ونشوء إمبراطوريات يونانية كبيرة عظيمة . وقد أخذت هذه الإمبراطوريات بدورها تتناحر فيما بينها رغبة فى الحرية والاستقلال السياسى عن جاراتها . وقد أوغر هذا الصراع والتربص الدائم صدور أفراد هذه الإمبراطوريات ، وصار الجفاء والاستعداد للحروب والانتقام قائم بين شعوب وأفراد هذه الإمبراطوريات . وكان ذلك الوضع سبباً فى استعداد اليونانى إلى شن الحرب والغارة على عدوه أو جاره أو حتى صهره فى أية وقت ، بل صارت طبيعة اليونانى تواقة إلى الغارة وتسعى إليها (١٤) .

وكانت بلاد اليونان منذ بدايات نشأتها ، وقبل ظهور نظام الدول المدن اليونانية ، قد وضعت أسس وأساليب الحكم وكيفية إدارة البلاد لنفسها . إذ كان أفراد كل قبيلة من القبائل اليونانية يختارون من بينهم شخصاً يتسم

بالحكمة والعقل الصائب ، حتى يدير شئون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وأيضاً العسكرية . وعندما تجمعت القبائل اليونانية وكونت الدول المدن ، فقد تطور نظام الحكم إلى اختيار أفضل وأحكم رئيس قبيلة كى يحكم دولة المدينة . وبعد ذلك تطور النظام من حكم الفرد إلى حكم الشعب ؛ وذلك عن طريق مجلس نيابى يدير بنفسه شئون دولة مدينته . فقد كان جميع أفراد الشعب أعضاء فى هذا المجلس ، أو تلك الجمعية العامة ، ويمارسون كافة حقوقهم وسلطاتهم (١٥) .

د) النظام السياسى لدى العرب قبل الإسلام :

طبقاً لما جاء فى نصوص الملوك الآشوريين بأن الشخصية العربية قد ظهرت على مسرح الأحداث السياسية البشرية فى أواسط القرن التاسع ق.م . وقد ذكرت هذه النصوص أن الملوك الآشوريين اتصلوا واحتكوا بملوك وملكات على المنطقة العربية ، وذلك رغم الحياة البدوية القبلية التى كان يحياها العرب آنذاك . وبعد ذلك وجدنا المنطقة العربية والهوية العربية تظهر فى تاريخ " Historiai " المؤرخ اليونانى هيرودوتوس " Herodotos " (٤٨٤ – ٤٣٠ ق.م) ، وذلك عندما كان يتحدث عن جغرافية وحدود مصر . فقال :

Απὸ δὲ Ηλίου πόλιος ἄνω ἰόντι στεινή ἐστι
Αἴγυπτος. τῇ μὲν γὰρ τῆς Αραβίης ὄρος παρατέτα ται,

[Hdt., II, 8: 1 - 2]

" وتبدو مصر من جهة مدينة الشمس – هليوبوليس – ضيقة ، وذلك لأن حد المنطقة العربية يقع فى هذه الناحية " (١٦)

واستمر ذكر العرب فى سجلات المؤرخين والكُتّاب من بعده ، سواء عند الكتاب اليونان أو الرومان ، وحتى العصر البيزنطى وقبل ظهور الإسلام (١٧) .

وكان على رأس الحياة السياسية العربية قبل الإسلام رئيس ، يختاره أفراد القبيلة العربية من بينهم ، وذلك حتى يصبح سيداً للقبيلة ومُصرفاً لشئونها . ولا يخضع هذا الاختيار للمال أو للمكانة ، ولكن يشترط العقل الصائب والرأى السديد والخبرة ؛ من أجل سيادة القبيلة وإدارتها (١٨) . وذلك لأن المجتمع القبلى الذى كان يحياه العرب كان عُرضة دائماً للغارة من قِبل المغيرين ، أو يقوموا هم أنفسهم بالغارة على الآخرين . فالغارة متبادلة فيما بينهم ، ومن ثم فهم فى حاجة إلى عقلية محنكة حكيمة مجربة شجاعة (١٩) .

وقد لخص هذه الأسس ، فى اختيار رئيس القبيلة العربية قبل الإسلام ، عامر بن الطفيل الذى اختارته قبيلته كى يكون سيدها بعد وفاة والده السيد السابق للقبيلة . فقال :

فإنى وإن كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المندوب فى كل موكب
فما سودتنى عامر عن وراثة ... ابى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى ... أذاها وأرمى من رماها بمنكب

وكما قسَّمت الجغرافية الطبيعية بلاد اليونان إلى أجزاء معزولة عن بعضها ومُتناحرة فيما بينها ، فكذلك كان الأمر مع سكان الجزيرة العربية الذين قسَّمتهم الجغرافية الطبيعية إلى مجموعات منفصلة من القبائل . ولذلك نجد التقسيم الأساسى لسكان الجزيرة العربية هو عرب الشمال وعرب الجنوب ، واللذان كان الشجار والعراك دائم الاشتعال بينهما (٢٠) . وكان هناك من القبائل العربية : قبيلة وائل وهى تنقسم إلى قبيلتى بكر وتغلب ، واللتان نشبت بينهما الحرب بعد مقتل كليب . وقبيلة غطفان وتنقسم إلى قبيلتى عبس وذبيان ، واللذان اشتهرا بحرب داحس والغبراء .

ولما كان فى الحياة البدوية من هجوم وغارات مفاجئة ، فقد اضطرت بعض القبائل أو إحداها إلى التحالف مع غيرها ، من أجل نصرتها

على عدوتها من القبائل . كما فعلت قبيلة ربيعة ، عندما تحالفت مع أهل اليمن لمقاتلة قبيلة مضر (٢١) . وبسبب هذه الحياة القلقة فقد شهدت المنطقة العربية ظهور أول محاولة لتهدئة الحياة وسبل المعيشة بين القبائل والممالك العربية فى القرن السابع عشر ق.م ؛ حيث ظهرت بوادى الرافدين أول مجموعة قانونية تنظم القيم الجماعية والأعراف والتقاليد لمجموعة من السكان فى زمن حمورابى " Hammurabi " ، والذى حكم مملكة بابل " Babylonia " فى الفترة من ١٧٩٢ وحتى ١٧٥٠ ق.م (٢٢) . وذلك لا لشئ غير الرغبة فى إحلال السلام والعدالة فى البيئة العربية قبل الإسلام ، والتى كانت الغارة على الآخر من أسس وسائل الحياة فيها (٢٣) . ومع ذلك فقد ظلت الغارات والحروب تُشَن بين القبائل والممالك العربية ، حتى جاء الإسلام بسماحته ، فألف بين الناس ، وجعلهم جميعهم أخوة لا فرق بين أحدهم إلا بقدر أعمالهم .

٥) الحياة الاجتماعية اليونانية :

أخذت الدول المدن اليونانية فى الظهور على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية خلال الفترة من القرن الثامن وحتى القرن الخامس ق.م . والتى تكونت فى الأساس من مجموعة من القبائل " Phylae " ، والتى تكونت بدورها من مجموعة بطون " Phratriae " أو عشائر أو أسر " Genei " تنحدر جميعها من جد واحد ، ولهم ديانتهم الخاصة ، ومعبودهم الذى يتقربون إليه . وكان مقر هذه العبادة وذلك المعبود مقراً لزعيم القبيلة أو العشيرة . ومن ثم فقد كان جميع أفراد القبيلة الواحدة مرتبطون ببعضهم البعض ، داخل قبيلتهم وخارجها ، بسبب تلك الصلة العرقية أو الدينية (٢٤) . أدى هذا الارتباط بين أفراد القبيلة الواحدة إلى وجود نوع من العصبية والتفرقة والانفصال والصراع بين اليونانيين .

كان اليونانيون يفضلون غالباً إنشاء مدنهم بعيداً عن ساحل البحر ، وذلك تجنباً للغارات المفاجئة . إذ كانت البحار المطلة على السواحل اليونانية تعج بالقراصنة الذين يُفاجئون سكان المدن بالغارة عليها ، من وقت إلى آخر . ومن كان ذو شجاعة منهم كان يؤسس مدينته بالقرب من الشاطئ ، الذى يصلح أن يكون مرفأ للسفن ، ومنهم من كان يؤسسها فى سهل يحميه جبل من ناحية البحر (٢٥) . وكلما كان موقع المدينة اليونانية مميزاً فقد كان يثير الآخرين طمعاً فى ذلك الموقع . ويحدث لهذا تضارب فى المصالح بين المدن والشعوب ، مما يؤدى بدوره إلى قيام الحروب والنزاعات فيما بينهم نتيجة لصراع المصالح وتعارضها " Conflict of interests " ، مما يؤدى إلى نشوب الغارات والحروب (٢٦) .

ولدرأ خطر الغارات ؛ لجأت القبائل اليونانية ، وفيما بعد الدول المدن ، إلى الاتحاد فيما بينها . وفى القرن السابع ق.م لجأت هذه المدن إلى تكوين أحلاف دينية ، مثل الحلف الأمفكتيونى " Amphictyonia " . والذى أشار إليه هيرودوتوس فى كتابه الثانى عندما قال:

Αμφικτυόνων δὲ μισθωσάντων τὸν ἐν Δελφοῖσι νῦν ἐόντα νηὸν τριηκοσίων ταλάντων ἐξεργάσασθαι[ὁ γὰρ πρότερον ἐὼν αὐτόθι αὐτόματος κατεκάη] .

[Hrd. II: 180, 1]

" وبعض من الأمفكتونيين الذين قد استأجروا الآن فى دلفى حتى يكتمل المعبد مقابل ثلاثمائة من التالانتات (لأن السابق كان قد أحترق فى الحال) " .

وفى القرنين الرابع والثالث ق.م لجئوا إلى تكوين الأحلاف السياسية ، مثل الحلف الأخى " Achaios " والحلف الديلى " Delios " والأيتولى " Aetolos " (٢٧) .

كان اليونانى دائماً يحى لنفسه لا يعبئ بجاره قط ، وكان قلما يشعر بوخز الضمير ، وكان هذا مدعاة لنشوب الكثير من الغارات والحروب بين

القبائل والمدن اليونانية ، وكذلك بين الأحلاف التى كونها سواء لصد غارات الأعداء أو للقيام بغارات على أعدائه وجيرانه .

أضف إلى هذه السلوك والخلق الاجتماعى ، ما اتصف به اليونانى من خيانة للعهد وللجار ، والأخطر منها هو خيانة الوطن . حتى ذكر باوسينياس أنه : " لم يخلو زمن فى بلاد اليونان من رجال مصابون بداء الخيانة " (٢٨) .

لقد ارتبطت الحرب بالحياة اليونانية منذ البدايات الأولى لازدهار الحضارة اليونانية ، حتى آمن اليونانيون بأن : " الحرب هى أصل كل شئ"(٢٩) . ومن ثم كانت شخصية اليونانى ميالة للحروب والغارة على الآخر . وهو فى غاراته يميل إلى كل موبقات وأفعال الحروب الرذيلة ؛ من هدم للمبانى وتخريب للمحاصيل ، وقتل للعُزل والشيوخ ، وسبى للنساء والأطفال ، وحرق للبيوت والثمار والمحاصيل . إذ كان اليونانى دائماً يتطلع لما هو ملك للغير ويرغب فيه ، وكانت الغارة هى سبيله فى الحصول على ما يمتلكه الآخر ويطمع هو فيه. وما ارتكبته إسبرطة مع أهل تاراس " Taras " يُعد دليلاً على ذلك ؛ تلك المستعمرة الوحيدة التى أسستها إسبرطة فى القرن الثامن ق.م (٣٠) . إذ عندما أرادت إسبرطة أن تحل المشكلة السكانية لديها ، فلم تركب البحر وتتجه نحو أراضى زراعية جديدة بعيدة كما هى العادة عند حل مشكلة الاستيطان . ولكنها فضلت على ذلك الغارة على أراضى جارتها التى تتاخمها فى منطقة البيلوبونيز " Peloponnesos " . وزيادة فى السطوة والغطرسة ، فأنها لم تعتمد فى زراعة الأراضى التى انتزعتها من جيرانها على سواعد مواطنيها ، بل على السكان والمُلاَّك القدامى ، بعد أن وضعتهم فى مرتبة الفلاحين العبيد . وهى المرتبة التى فرضتها من قبل على سكان وادى يوروتاس الأدنى " Eurotas " (٣١) .

وكان اليونانى يفخر بما أتمه من غارة وسلب وقتل . وكانت تأبى عليه كرامته أن يقبل الهوان والمذلة سواء فى حقه أو حق مدينته . وكانت

الفضيلة هى هدفه فى الحياة ، لأنها هى التى تبقى له بعد مماته (٣٢) . وكان من العار أن يهرب اليونانى من أمام عدوه ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى جاء الشاعر الهجائى أرخيلوخوس من بـــاروس " Archilochos of Paros " ، والذى ازدهر فيما بين عامى ٧١٠ و ٦٨٠ ق.م ، وحرر نفسه من تلك الطبيعة الحربية ؛ عندما تباهى فى إحدى قصائده بفراره من الموت المحقق أمام عدوه ، أثناء حرب جائرة لمدينته باروس " Paros " مع أهـــل تراقيا " Thrace " فى جزيرة ثاسوس " Thasos " بشمال بحر إيجة (٣٣) .

ويمكن القول أن الغزو الدورى الذى ضرب بلاد اليونان بعد عام ١١٠٠ ق.م ، كان هو السبب فى تقسيم اليونانيين إلى تجمعات قبلية سكنية صغيرة " Sunoikismoi " ، ويتكون كل منها من مجموعة من المُلاك الكبار للأراضى الزراعية أو للمراعى ، ومن حول ممتلكاتهم يوجد العاملون بهذه الأراضى (٣٤) . وكان مالك أو صاحب أكبر نصيب من الأراضى بهذه التجمعات القبلية يصير رئيس لهذا التجمع ويحمل لقب ملك " Basileus " (٣٥) . ولكن يجب التأكيد على أن الغزو الدورى أدى إلى دخول شعوب ليست من أصول يونانية إلى بلاد اليونان، وباحتلالهم لأرض اليونانيين واحتكاكهم بأصحاب الأرض الأصليين صاروا هم أيضاً يونانيين . وكان ذلك التباين فى أصول الشعب اليونانى الذى حمل اسم الهيلينى سبباً فى وقوع صراعات ومنازعات فيما بينهم من حين إلى آخر . وقد ذكر المؤرخ ثوكوديديس " Thucydides " فى تاريخه أن الشعب اليونانى تكوّن من جماعات من المهاجرين . فقال :

Φαίνεται γάρ ἡ νῦν Ελλὰς καλουμένη οὐ πάλαι βεβαίως οἰκουμένη, ἀλλὰ μεταναστάσεις τε οὖσαι τὰ πρὸτερα καὶ ῥᾳδίως ἕκαστοι τήν ἑαυτῶν ἀπολείποντες, βιαζόμενοι ὑπό τινω αἰεὶ πλειόνων. [Thuc., I, ii: 1]

" إن ما تظهر الآن ويُطلق عليها هيللاس لم تكن مسكونة بالتأكيد منذ أمد بعيد ، لكن الهجرات وكل الراحلين من هؤلاء أنفسهم كانوا يتوجهون إليها فى البداية بسهولة ، والمُجبرون بواسطة الآخرين دائماً " .

فمنذ ذلك الغزو الدورى والرجل اليونانى بات لا يعرف الراحة أو الآمان . بعد أن غار عليه ناس قاسية قلوبهم كقسوة سيوفهم ؛ التى لم يرى اليونانيون أو يستخدموا مثلها من قبل . خاصة وأنهم كانوا فى العصر البرونزى ، بينما جاء الغزاة الدوريون وهم مسلحون بعدة وآلات العصر الحديدى ، فسمحت لهم أن يغيروا وينهبوا كل ما كان يصادفهم (٣٦) .

إن الشعب اليونانى فى الأصل شعب من الفلاحين المرتبطين بأرضهم ، وبخاصة فى العصر الكلاسيكى (٣٧) . وذلك كما يظهر فى كوميديات أريستوفانيس " Aristophanes " ، ومن قبل فى ملحمة الأوديسية لهوميروس ، والتى تصور والد أودوسيوس " Odysseus " وقد ترك المدينة وجلس فى مزرعته بجوار حقله . وقد جاء هذا الكلام على لسان روح أم أودوسيوس عندما ذهب فى رحلة إلى العالم الآخر ، وتقابل معها وسألها عن أبيه وماذا يفعل فى غيابه ، فقالت له :

πατήρ δὲ σὸς αὐτόθι μίμνει
ἀργῷ, οὐδὲ πόλινδε κατέρχεται. [Hom. Od., XI; 187 - 188]
" لكن والدك يقيم بعيداً فى الحقل . ولا يأتى إلى المدينة " .

وكان سكان أتيكا " Attica " يمارسون الزراعة حتى الحروب البيلوبونيزية ، فالغارات الإسبرطية هى التى حولت اليونانيين من سكنى الريف إلى سكنى المدن . وكانت المدينة اليونانية تجاور الريف بشكل طبيعى ، باستثناء المناطق البعيدة مثل أركاديا " Arcadia" وغرب بلاد اليونان التى لم يكن بها مدن على الإطلاق (٣٨) . ولم تعدم المدن اليونانية الوسائل والأسلحة فى حروبها وغاراتها على جيرانها ، من أجل تحقيق النصر والسيطرة ، ومن بينها السلاح الاقتصادى . ففى الحروب البيلوبونيزية فى

الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م ، لم تكتف إسبرطة بتفوقها العسكرى على أثينا ، بل نجدها وقد قامت بتخريب محاصيل أثينا ، وتغلبت على غريمتها فى المعركة ، وأنهت الحرب لصالحها . وعندما تقدم فيليب المقدونى نحو مدن بلاد اليونان ، بغرض إخضاعها والسيطرة عليها ، لجأ إلى نفس السلاح الذى استخدمته إسبرطة . ففى حربه مع أثينا ، محاولاً إخضاعها ، قام بضرب الخطوط الملاحية التجارية بالبحر الأسود ، بغرض قطع إمداداتها من المؤن والغلال ، تلك الخطوط التى بذلت أثينا كل إمكانيتها بغرض السيطرة عليها ، إما بالحرب أو بعقد الاتفاقيات مع من لم تسطع السيطرة عليهم وإخضاعهم من شعوب هذا البحر (٣٩) .

إن حروب وغارات اليونان دائماً كانت من أجل الأراضى الزراعية الجيدة وطمعاً فى ثروات الغير ، وذلك تبعاً للنظرية القائلة : " بأن الموارد الطبيعية التى لا يستغلها أهل الإقليم، تجتذب بنوع من الجاذبية الكيميائية غيرهم من الناس ، ليستغلوها ويدفعوا بها إلى تجارة العالم ومنفعته " . ولذلك احتل اليونانيون كعب قدم إيطاليا ، ونفس الأمر مع قورينى بشمال ليبيا ، عندما أرسل أهل ثيرا " Thera " عام ٦٣٠ ق.م جماعة منهم لاستعمار هذه المنطقة الثرية بأمطارها وأرضها الخصبة (٤٠) .

وجدير بالذكر أنه لم يكن هناك جيش يونانى نظامى مجهز للحرب ضد الأعداء ؛ وكان على من يريد الدفاع عن نفسه أو أملاكه ، أو يقوم بدرء هجوم أو شن هجوم أو غارة على أعدائه ، أن يقوم بتسليح نفسه وأتباعه . وبناء على ذلك فقد كانت الطبقة الأرستقراطية الثرية ، هى الوحيدة من بين الطبقات الاجتماعية ، التى لديها القدرة على امتلاك الخيل والسلاح ، والتى كونت فيما بعد طبقة الفرسان " Hippeis " . وكانت تستخدم عدتها الحربية تلك فى شن الغارات على جيرانهم وأعدائهم ، كما كانت تستخدمها فى الدفاع عن ممتلكاتها (٤١) .

كان اليونانى القديم يحترم الأعياد والمناسبات الدينية والرياضية ويقدسها اشد التقديس. وكانت هذه المناسبات وتلك الاحتفالات الدينية تُقام تكريماً للآلهة وللأبطال القوميين ، ومن ثم فقد كانت هذه الاحتفالات بمثابة أعياد قومية لجميع اليونانيين . وكانت فرصة للراحة والتآخى بين المتحاربين والمتنازعين ، ومن ثم فقد كانت تحدث أثنائها المصاهرات والمعاملات الجيدة فيما بينهم . وكان لابد وأن تتوقف الحروب ، ويعم السلام طالما حل العيد الدينى والمهرجان الرسمى . وكانت الرسل تخرج لتعلن لجميع اليونانيين بدأ موعد الألعاب الرياضية ، ومن ثم بدء الهدنة ووقف الحرب بين المتحاربين ، وذلك حتى يتمكن الأبطال المشاركين فى هذه المسابقات والمشاركين فى هذه الاحتفالات من السفر ، وهم مطمئنون على أنفسهم وعلى أموالهم ، فأيام هذه الألعاب هى أيام حرم " Ekecheira " (٤٢) .

ومع ذلك فأحيانا تكون هذه الأعياد والاحتفالات سبباً فى قيام الحروب والمنازعات بدلا من كونها فرصة للهدوء والتصالح والمؤاخاة . وذلك كما حدث عندما شب النزاع بين مدينتى بيسا " Pisa " و إليس " Elis " حول أحقية أى منهم فى تنظيم وقيام الألعاب الأولومبية. فقامت على إثر ذلك حرب طاحنة بين اليونانيين (٤٣) .

ولقد تشابكت ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية أدت جميعها إلى الهجرة والخروج واحتلال أراضى الغير . فالطبقات المعدمة هاجرت من وطنها بحثاً عن أوطان ومدن أخرى . وكذلك أدى الصراع الاجتماعى بين الطبقات إلى الهجرة والخروج إلى أراضى الغير . وهناك أيضا من هاجر وخرج من مدينته الأم إلى مدينة ومستوطنة جديدة تخلصاً من أعبائه وديونه . ونتيجة لذلك وجدنا فى التاريخ اليونانى هناك صراعاً وحروباً نشبت وقامت بين المدينة الأم التى خرج منها المستعمرون وبين المدينة والوطن الجديد الذى أنشئوه (٤٤) . وذلك مثل الحرب التى دارت بين كورنثة "

Corinthos " ومستوطنتها كيركورا " Cercyra " . وأدى هذا الصراع إلى نشوب حرب كبيرة بين كثير من المدن اليونانية عُرفت هذه الحرب باسم الحرب البيلوبونيزية (٤٥) .

ومن أحوال اليونانى الاجتماعية أيضاً ، أنه كان يجيد مهنتى الحدادة والزخرفة إلى جانب مهنة صناعة السفن . إذ لم يكن اليونانى يستنكف أن يصنع أدواته بيده ، على العكس من العربى . فقد كان اليونانى يصنع أحذيته وثيابه وأدوات الفلاحة والبناء بيده . وكانت الآلهة اليونانية تمتهن بعض المهن مثل هيفايستوس إله الحدادة ، والربة أثينا كانت تمتهن الحياكة ، والربة ديميتر كانت تمتهن مهنة الزراعة (٤٦) .

و) الحياة الاجتماعية العربية :

كانت جغرافية بلاد العرب سبباً فى غلبة الحياة البدوية القبلية على حياة العرب قبل الإسلام . إذ كانوا دائمى التنقل والترحال وراء المراعى الجيدة . ومن ثم كان هناك من أعطته الطبيعة ومن ضنت عليه بخيراتها ، ولذلك كانت الخلافات والبغضاء بين بعضهم البعض ، بسبب طمع البعض منهم فى خيرات البعض الآخر ، حتى وصل الأمر إلى الغارة عليه بغرض سلبه ما أعطته له الطبيعة . ولانشغالهم بهذه الحياة القبلية العصبية ، التى تقوم على الغارة والحرب فيما بينهم فلقد تخلفوا عن ركب الحضارة عن جيرانهم بوادى الرافدين ونهر النيل .

كان العرب ينقسمون إلى أسر ، وكونت هذه الأسر فيما بينها عشيرة ، والعشائر المشتركة فى نفس الأصل أو من بطن واحدة كانت تكّون قبيلة . ومع ذلك فلم يكن العرب جميعهم يحيون حياة بدوية قبلية ؛ إذ كان العرب ينقسمون ، داخل الجزيرة العربية ، إما بدواً أو حضراً ، والغالبية العظمى منهم كانوا بدواً . وهم بطبيعتهم يحتقرون الزراعة والصناعة والملاحة ، ويفضلون عليها الغارة والسلب . وكانوا يعيشون على ما تدره عليهم ماشيتهم

. وإذا كانوا فى حاجة إلى شئ آخر لا تدره ماشيتهم لجئوا إلى البدل والمقايضة . وفى غاراتهم على غيرهم كانوا يسبون النساء والأولاد ويستولون على الإبل والماشية . ويستعدون لكر القبيلة المسلوبة عليهم (٤٧) .

وقد صوَّر الشاعر الجاهلى القُطامى هذه الحياة ، عندما قال :

فمن تكن الحضارة أعجبتـــــه فأى رجال بادية ترانـــــا
ومن ربط الجحاش فإن فينـــا قناً سُلُبًا وأفراساً حسانـــاً
وكن إذا أغرن على قبيـــل فأعوزهُنَّ نهب حيث كانـا
أغرن من الضبّاب على حلال وضبَّة إنه من حان حانـــا
وأحياناً على بكرٍ أخيـــنا إذا لم نجد إلا أخانـــا

كانت الحياة العربية على هذا الشكل عرضة دائماً للخصومات والاقتتال ولأوهن الأسباب . فقد يتعاظم رئيس قبيلة ويجعل لنفسه حرم ممنوع الاقتراب منه ؛ وإذا اقترب شخص أو فرد من أفراد قطيع من حرمه قتله ، فتقوم حرب بين قبيلة الشخص أو الحيوان المقتول وبين قبيلة رئيس القبيلة القاتل . أو قد تدخل قبيلة مرعى قبيلة أخرى ، أثناء بحثها عن مرعى جيد لقطعانها ، بعد أن جفت مراعيها ونضبت ، فتقوم الحروب بينهما . وقد تثور الحروب والغارات بين القبائل العربية لرغبة أحدهم انتزاع مكانة شريفة تفخر بها بين القبائل على قبيلة أخرى ، وذلك مثل حالة قبيلتى تغلب وبكر اللتان استمرت بينهما الخصومة لفترة طويلة بسبب النزاع على الفخر والشرف وأيهما أحق وأجدر به من الأخرى (٤٨) .

كان لهذه الحياة أثرها فى تكوين تحالفات بين القبائل وبعضها البعض، لصد هجوم أو غارة من جانب عدو ، قريب كان أو بعيد . وسرعان ما كانت تنفك أواصر هذه التحالفات ، ويصير المتحالفون أعداء ؛ لا لشئ غير الطمع والغدر وعدم الآمان فى هذه الحياة البدوية الصعبة . وذلك مثل تحالف قبيلة ربيعه مع أهل اليمن من أجل مقاتلة قبيلة مُضر (٤٩).

وكذلك قبيلتى بكر وتغلب اللتان كونتا بتحالفهما قبيلة وائل ، ولكن سرعان ما دب الخلاف والانشقاق بينهما بعد مقتل كليب ، وكادت الحرب أن تفتك بهما. وأيضاً قبيلة غطفان التى تكونت من قبيلتى عبس وذبيان ، واللتان شبت الحرب بينهما لسنوات طويلة عُرفت بحرب داحس والغبراء .

وكان من صفات العربى البدوى أنه لا يشعر بذاته أو فرديته داخل قبيلته ؛ إذ يغلب عليه شعوره بالقبيلة جميعها . فخير القبيلة خيره وشرها شره ، وأصدقاء قبيلته أصدقاء له وأعدائها أعدائه هو شخصياً . ومن ثم فقد كان العربى قبل الإسلام مرتبطاً بقبيلته وعشيرته وأسرته أشد الارتباط . فقد كان ينظر إليهم ويعدهم من أملاكه ولا يرضى أن ينال منهم أحد . فيتخذ من خصوم قبيلته خصوم له هو شخصياً ، وإذا كان ممن يقرضون الشعر ، أخذ فى مدح أصدقاء قبيلته وذكر محاسنهم ، أما أعداء قبيلته فأنه يأخذ فى هجائهم وذكر عيوبهم . فالعربى أفرد شعره وموهبته فى الكتابة الشعرية من أجل التغنى بأفعال قبيلته فقط ، وأبت عليه عصبيته وأنفته أن يمتدح أفعال ونظم القبائل الأخرى (٥٠) .

وإلى جانب ذلك من صفات العرب الاجتماعية ، نجد أنهم وقد اشتهروا بنصرتهم لأخيهم ، ظالماً كان أو مظلوماً . فهم يد واحدة على من عداهم . كما عبّر أحدهم عن ذلك بقوله :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهان

ويسرع العربى إلى نجدة قريبه وكل من يرتبط به بصلة دم داخل قبيلته . ولكن تلك النجدة تتوقف على مدى مكانة الشخص فى قبيلته ، فليس كل أفراد القبيلة العربية قبل الإسلام سواء ، فمنهم الوضيع مكانة ، فلا تهتم به القبيلة أو تعيره اهتمام . ومنهم صاحب السطوة والنفوذ ، ومن ثم فشره شر للقبيلة أجمعها ، وخيره خير للقبيلة عن بكرة أبيها . فعندما شعر عمرو بن كلثوم من قبيلة تغلب أن أم الأمير اللخمى عمر ابن هند قد أهانت أمه ،

نادى قبيلته طالباً الثأر ، ثارت القبيلة ولبت ندائه . وعلى العكس من ذلك ما نجده من موقف قبيلة الشاعر المخضرم قريط بن أنيف أحد بنى العنبر عندما نهب عدداً من أفراد بنى ذهل من قبيلة شيبان عددا من أبله ، فأستنصر قبيلته ، فلم ينصره أحد ، وذلك بسبب وضاعة مكانته فى قبيلته (٥١)، فأنشد شعراً فى ذلك قائلاً :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة هانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شئ وإن هانا

وكثيراً ما كان رعاة البادية يحومون حول الواحات القريبة من مراعيهم ، طمعاً فى تمر نخيل هذه الواحات . وكانوا كثيراً ما يغيرون عليها لسلب جزء من محصول نخيلهم ، وأحياناً ما كانوا يفرضون عليهم جزية سنوية نظير عدم التعرض لهم والغارة عليهم ثانية ، ولحمايتهم من غارات مغيرين آخرين غيرهم . فالغارة عند العربى كانت أجدى واكثر نفعاً وفخرا عن زراعة الأرض وانتظار محصولها ، وكان العربى يفخر بذلك فى شعره . إذ يقول الأعشى فى معلقته مفاخرا بالغارة والحرب على الزراعة وانتظار محصول الأرض :

جعل الإله طعامنا فى مالنا رزقاً تضمنه لنا لن ينفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تراع فإنها لن تطردا

وكما كانت الزراعة مهنة متدنية فى نظر العربى فقد كانت الصناعة كذلك ، على الرغم من تغنّيهم بالمصنوعات ذاتها فى أشعارهم . فقد كان يرى أن : " العربى الشريف لا يليق به أن يكون صانعاً لأن الصناعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس " (٥٢) .

ومع هذا فقد كان هناك من العرب من يحي حياة أرقى ، بعض الشئ ، عن هذه الحياة البدوية . فسكان جنوب الجزيرة العربية باليمن كان لهم نصيبهم من الحضارة ؛ إذ كانوا يحيون على التجارة والزراعة ويسكنون المدن . وكذلك الأمر مع الغساسنة ببلاد الشام ، واللخميين بالعراق (٥٣) .

ومن ثم فقد كان هناك من بين العرب مَن كلَّ وملَّ هذه الحياة البدوية المقفرة فى كثير من الأحيان ، فهاجر بعضهم واتجه لشمال الجزيرة العربية واتخذ من مملكة الغساسنة ببلاد الشام جوار له . وكان هؤلاء الغساسنة تابعين للإمبراطورية الرومانية ، واتخذ الروم من هؤلاء العرب حماية لهم حتى يصدوا غارات البدو على أطراف حدودهم الشرقية . واتخذ البعض الآخر من مملكة المناذرة التابعين للإمبراطورية الفارسية جوار لهم . ولقد جعل الفرس من عرب المناذرة حماية لهم حتى يصدوا عنهم غارات البدو على أطراف مملكتهم الغربية . وكانت هاتان المملكتان متأثرتين بمدنية وحضارة الروم والفرس (٥٤) .

ويجب التأكيد على أن العرب فى الألف عام السابقة على الرسالة الإسلامية كانوا أمة وقوة عظمى على الأرض لا يستهان بها . فلقد كان عرب جنوب الجزيرة العربية من أصحاب الحضارات وممن شاركوا فى بناء الحضارة الإنسانية ، وكذلك الأمر مع عرب شرق الجزيرة العربية فلقد كان لهم ملك منظم قديم وحضارة عريقة منذ فجر التاريخ . وإذا نظرنا إلى عرب الشمال فى تدمر وثمود وبطرة ، نجدهم لا يقلون عن غيرهم من سكان الجزيرة العربية . وناحية الغرب من الجزيرة العربية نجد إبراهيم (عليه السلام) ينزل فى مكة ويتخذ منها دار هجرة ومقام لأبنه إسماعيل ، ويبنى بها المسجد الحرام (٥٥) .

ثانياً : العلاقات اليونانية والعربية والاتصال فيما بينهما .

بادئ ذى بدء لابد من ذكر سبب تسمية اليونانيين بهذا الاسم ، وهم من كان يطلق عليهم اسم الهيللينيين " Hellenes " وهم القبائل الثيسالية الذين اختاروا هيللين " Hellen " ابن ديوكاليون " Deucalion " رئيساً لهم ، وأطلقوا اسمه على مدينتهم ، وصارت هيللاس " Hellas " ، والذى أطلق فيما بعد على كل بلاد اليونان (٥٦) . أو يطلق عليهم الأخيين تبعاً لأخايا " Achaia " فى البيلوبونيز . وقد أطلق الرومان عليهم اسم الإغريق " Graeci " اشتقاقاً من اسم قبيلة جرايوس " Graeus " . أما اسم اليونانيون فقد أطلقه عليهم العرب عندما احتكوا بهم اشتقاقاً من اسم قبيلة الأيونين " Ionians " (٥٧) .

إن الاتصال بين المنطقة العربية وبلاد اليونان قديم جداً . فلقد اثر كل منهما فى الآخر عندما اتصل به . وتفيد دراسة المنطقة العربية فى معرفة توسع وانتشار الشعوب اليونانية بهذه المنطقة ، ومدى نقلها وأخذها عن شعوبها ، وكذلك تفيد فى معرفة مدى تأثير اليونانيين فى تلك الشعوب العربية ؛ وذلك لأن عملية التأثير والتأثر والنقل عن أو من الآخر ، لا تقف أمامها الحدود القارية أو القومية . ولذلك فأنه لا يمكن الفصل بين بلاد اليونان وبين القارتين الآسيوية والأفريقية ؛ وبخاصة الدول المحيطة بالبحر المتوسط منها . فلقد كان الاتصال والتنقل بين شواطئ هذا البحر ميسورة للدول التى تقع عليه ، ومن ثم فقد كان من الممكن انتقال العادات والتقليد والديانات أيضاً بين شواطئ هذا البحر . خاصة وأن الشعوب التى تسكن هذه الشواطئ جميعها أصحاب حضارات عظيمة ، كان من الضرورى الاتصال بينها وانتقال الأفكار والتأثيرات الثقافية فيما بينها (٥٨) . وفى بدايات القرن الحادى عشر قبل الميلاد بدأ الشعب اليونانى هجراته لهذه السواحل ، وأخذ فى الغارة عليها من أجل احتلالها والاستيلاء عليها ، وقد استقرت جاليات

يونانية كثيرة فى القرن الثامن ق.م بسواحل القارات الثلاث الأوروبية والأسيوية والأفريقية (٥٩) .

لقد ساعدت جغرافية بلاد اليونان الرحالة والتجار على الوصول إليها أو الخروج منها بسهولة ويسر . إذ كانت جبال اليونان المنحدرة دائماً نحو الجنوب الشرقى تُيسر من عملية الإبحار والسير فى البحر بدون بوصلة ؛ ومن ثم فقد وصل تجار من كريت وفينيقيا إلى بلاد اليونان فى عهودها الأولى ، وفيما بعد خرج اليونانيون بأنفسهم إلى أراضى الغير وأغاروا عليها وتاجروا مع شعوب البعض الآخر (٦٠) .

لقد وصل الفينيقيون فى عصور مبكرة جداً إلى السواحل اليونانية وتاجروا مع اليونانيين . وكانت هذه التجارة متنوعة مختلفة ، حتى وصلت إلى التجارة فى البشر وبيع العبيد إلى اليونانيين . إذ يذكر هوميروس فى الأوديسية أن يومايوس " Eumaeus " راعى خنازير أودوسيوس ذو أصل نبيل . فقد كان والده ملك فى سوريا ، وكان لدى الملك فتاة جارية سرقها القراصنة – وهى صغيرة – من مدينتها صيدا وباعوها للملك ، وعندما وصلت سفينة تجارية فينيقية ذات يوماً لشواطئ مدينة الملك ، استطاع أحد بحارتها أن يستميل الجارية بالحب ، وعند رحيلهم رحلت الفتاة الجارية مع التجار الفينيقيين وأخذت معها الطفل يومايوس ابن الملك ، وبعد ستة أيام من الإبحار وصلوا جزيرة إيثاكا " Itaca " وباعوا الطفل إلى الملك لايرتيس " Laertes " والد أودوسيوس (٦١) .

أدى ارتياد التجار الفينيقيين منذ العصور والقرون المبكرة للبحر المتوسط إلى انتقال الفكر الشرقى إلى بلاد اليونان . وكما كان هؤلاء التجار ينقلون من وإلى مصر فقد أخذوا عنها ونقلوا إلى بلاد اليونان ما وجدناه من تأثير لفن النحت المصرى فى التماثيل اليونانية الأولى مثل الوجوه المستوية واليد المقبوضة والعيون المائلة والأطراف المعتدلة المستوية . وناهيك عن

التأثير العقائدى وما وجدناه من أصداء لأسطورة عشتار " Athtar "وتموز فى الأسطورتين اليونانيتين أفروديتى وأدونيس ، وديميتر وبيرسيفونى (٦٢) .

وعند دراسة الآثار التى تم العثور عليها بمنطقة الجزيرة العربية نجد هناك تأثيرات يونانية على المبانى التى تم تشيدها بهذه المنطقة ؛ مما يدل على الاتصال بين اليونانيين والعرب القاطنين بهذه المنطقة . فالأبنية التى عُثِرَ عليها بالجزء الشمالى الغربى من شبة الجزيرة العربية حيث السعودية وجنوب الأردن ، وهى أبنية منحوتة لها واجهات " Pediments " وإفريز " Freeze "مستطيل يلى الواجهة إلى الأسفل . وهناك أيضاً الأعمدة التى تلى الإفريز نزولاً ، كى تحيط بباب المعبد أو الضريح فجميعها تأثيرات يونانية تماماً . وذلك خلافاً لمعبد العوّام باليمن والذى كان مخصصاً لعبادة القمر . فقد كان على شكل بيضاوى حتى يسهل حمايته من غارات البدو الذين يسكنون الأماكن الصحراوية باليمن . وكذلك كان هناك تأثير يونانى أيضاً على التماثيل وفن النحت العربى . إذ تم العثور على تمثال بمدينة " تمنع " فى " قتبان " بجنوب شبة الجزيرة العربية ، وهذا التمثال لطفل صغير عارياً تماماً ممتطياً أسداً ، والأسد يرفع رجله اليمنى وكأنه يهم بالحركة ، ويرجع تاريخ صنع هذا التمثال إلى القرن الأول ق.م أو القرن الأول الميلادى . ومن المؤكد أن هذا التأثير جاء نتيجة الاحتكاك بين النحات العربى والنحات اليونانى القديم . وكان مزاولة اليونانيين للتجارة بالبحر الأحمر فى القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد أثناء حكم الملوك البطالمة ، سبباً فى تشجيع اليونانيين على الاتصال بسكان الجزيرة العربية وانتقال الفن اليونانى للمنطقة وتأثيرها على العرب قبل الإسلام (٦٣) .

ومن دلائل الاتصال أيضاً ، نجد أن الإمبراطورية الأثينية قامت فى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد بتوسيع نشاطها التجارى ، مستعملة فى ذلك عملتها التى صارت مع هذا التوسع عملة دولية ؛ حتى تم

العثور على عملة سبئية باليمن عليها تأثيرات أثينية . وترجع هذه العملة إلى القرن الثالث أو الثانى ق.م ، وقد جاء على وجه هذه العملة رأس الإلهة اليونانية أثينا ، متدلياً من أذنها قُرط . وعلى الظهر يوجد صورة بومة – رمز الربة أثينا – وصورة هلال ، وغصن زيتون به ورقتان فى وسطهما حبة زيتون ثم الحرفان الأولان من اسم الربة أثينا (الألف والثاء) مكتوبان بالأبجدية اليونانية (α, θ) . وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مدى الاتصال بين التجار اليونانيين وعرب جنوب الجزيرة العربية وتأثرهم بالعملة اليونانية . إذ كان نشاط اليونان التجارى فى فترة مبكرة مقصوراً على شرق البحر المتوسط مع الفينيقيين ، بينما امتد هذا النشاط فى القرن الثالث والثانى ق.م إلى البحر الأحمر ، مما أدى إلى احتكاك اليونانيين بالعرب هناك .

ومزيدٌ من التأثير اليونانى على المنطقة العربية والاتصال بينهما ، ما تم العثور عليه بمنطقة البتراء عاصمة الأنباط بشمال غرب الجزيرة العربية، من عملة عليها نقش يونانى . وتحمل هذه العُملة صورة نصفية للإمبراطور الرومانى تراجان (والذى امتدت فترة حكمه بين ٩٨ – ١١٧م) . ورغم وقوع مملكة الأنباط تحت حكم الرومان إلا أن التأثيرات اليونانية كان لها تأثيرها القوى ، وذلك بسبب ما أعطته الإمبراطورية الرومانية من حرية للمالك الخاضعة لها ، ومن ذلك انتشار اللغة والثقافة اليونانية . ومن ثم جاء سك العملة النبطية متأثراً بالأبجدية اليونانية وليس باللاتينية ([٦٤]) .

أن هجرة الأفكار والعقائد الدينية لا يمكن أن تحول أمام انتقالها حدود أو سدود . ومن ثم وجدنا تأثيرات للأساطير اليونانية وقد انتقلت للشرق وإلى المنطقة العربية ، كما هاجرت وانتقلت الأساطير المصرية إلى بلاد اليونان ،

مثل انتقال عبادة أمون وإيزيس . وكذلك انتقلت الأساطير البابلية وعبادة تموز وعشتار إلى بلاد اليونان هى الأخرى . لقد تأثر المعبود " ذو شارة " إله دولة الأنباط بجنوب الجزيرة العربية بعبادة إله الكروم اليونانى ديونوسوس " Dionysos " أو باخوس " Bacchos " . وكان هذا الإله يُعبد فى العصر الهيللينستى والرومانى على انه الإله ديونوسوس اليونانى ، وبسبب عبادته دخلت زراعة الكروم إلى جنوب الجزيرة العربية(٦٥) .

وبعيداً عن الأدلة الأثرية التى توضح مدى الاتصال والاحتكاك بين العرب قبل الإسلام واليونان ما نجده من نصوص بالتوراة توضح هذه العلاقات . فقد ورد بأن السبئيين سكان جنوب الجزيرة العربية ، كانوا يشترون العبيد من خارج بلادهم للعمل كأيدى عاملة لديهم فى بيت الطبقة الأرستقراطية منهم . إذ يتوعد يهوة – رب العبرانيين – العرب بصيدا وصيدون وجميع بقاع فلسطين ببيع أولادهم للسبئيين وذلك رداً على ما فعلوه عندما باعوا بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى الياوانيين – اليونانيين – (٦٦) .

ورغم تلك الإشارات ودلالتها على العلاقات بين العرب واليونان ، إلا أن الكُتّاب اليونان لم يذكروا العرب كشخصية لها وجودها وأثرها فى مسرح الحياة البشرية قبل القرن الخامس ق.م . فقبل ذلك التاريخ لم نجد غير خمس إشارات فقط ، منها اثنتان عند هوميروس فى الأوديسية ، والتى تتحدث عن العرب قبل القرن التاسع قبل الميلاد (٦٧) . وواحدة عند هيسيودوس (٦٨) ، والتى تُؤرِّخ أشعاره بعد القرن التاسع بقرن قبل الميلاد . ويورد الشاعر المسرحى أيسخيلوس " Aeschylus " إشارتين بمسرحيتين له(٦٩) ، وتعود هذه الإشارات إلى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد حدث احتكاك واتصال بين اليونان والشرق أثناء الحرب بين اليونان الفرس فى ٤٩٠ و ٤٨٠ ق.م . وكان العرب يشكلون بعض الوحدات

العسكرية فى الجيش الفارسى ، وقد أثارت شجاعة وقوة العرب ، التى أبدوها فى الحرب ، فضول اليونانيين فى معرفة هؤلاء القوم ودراستهم والاحتكاك بهم عن قرب . وظهر ذلك فى كتاب هيرودوتوس الذى أعطاه اسم التواريخ " Historiai " . وقد أطلق هيرودوتوس اسم العرب أو الجزيرة العربية " Arabia " ليس على شبة الجزيرة العربية فقط ، ولكنه أطلقها على كل من بادية بلاد الشام وعلى سيناء وعلى صحراء مصر الشرقية ، إضافة إلى شبه الجزيرة العربية (٧٠) . ولا ينس هيرودوتوس فى كتابه التواريخ أن يذكر لنا أن اليونانيين تاجروا مع العرب واستوردوا منهم الطيِّب والتوابل ولكن عن طريق الفينيقيين :

ἐσχάτη Αραβίη
τῶν οἰκεομενέων χωρέων ἐστί .....
.....τὸν μὲν γε λιβανωτόν
συλλέγουσι τὴν στύρακα θυμιῶντες, τὴν ἐς Ελ-
ληνας Φοίνικες ἐξάγουσι ..... [Hdt., III, 107]

" توجد المنطقة العربية فى أقصى الأماكن المسكونة ، .....
ويجمع الفينيقيون اللبان وشجر البخور ويحملونه إلى بلاد اليونان " .

وزاد الاهتمام بالمنطقة العربية وشبة الجزيرة العربية أثناء حكم الإسكندر الأكبر ، والفترة التى تلت وفاته وتقسيم مملكته بين قواده . إذ فور دخول الإسكندر إلى مصر والمنطقة الشرقية قام بإرسال العلماء إلى منطقة الجزيرة العربية لدراستها وتسجيل كل شئ عنها . وقد قام بهذه الدراسة كل من بطلميوس بن لاجوس " Ptolemaios I Soter " الرجل العسكرى ، وأريستوبولوس من قاسّاندريا " Aristobulos of Cassandreia " ، وهو رجل عسكرى أيضاً ولكنه مهتم بالتاريخ الطبيعى والمسائل الجغرافية ، وكان قائده البحرى أناكسكراتيس "Anaxikrates" من بين من أرسلهم لتجميع المعلومات الممكنة عن الساحل الغربى وجزء من الساحل الجنوبى للجزيرة العربية . وقام بإرسال ثلاثة قواد بحريين أخريين لاستكشاف ساحل جزيرة

العرب الواحد تلو الأخر ، وقد وصل القائد هيرونوموس " Hieronymos of Cardia " إلى نقطة يُعتقد أنها رأس الخيمة الحالية (٧١) . وقد وصلتنا هذه المعلومات عن طريق كل من الكاتب الكلاسيكى أريانوس " Arrianos " ، وسترابون (٦٤ ق.م – ٢٣ ؟ م.) " Strabon " (٧٢) .

وفى عهد خلفاء الإسكندر الأكبر وقيام الإمبراطوريتين المتنافستين ، البطلمية فى مصر والسيلوقية بسوريا ، زاد الاهتمام بدراسة الجزيرة العربية وذلك لسبب اقتصادى بحت . إذ يورد إراتوستينيس " Eratosthenes " والمعروف عند العرب باسم إراتسطين ، معلومات جيدة حقاً عن الأمور الاقتصادية للجزيرة العربية . وكذلك كان أجاثارخيديس " Agatharchides " وهو يونانى سكندرى ، قام بتأليف كتاب فى الثلث الأخير من القرن الثانى ق.م حمل اسم " الطواف حول البحر الأريثرى " . وهو من أنواع الكتب التى عرفت باسم كتب الطواف " Periploi " . ووصف أجاثارخيديس فى هذا الكتاب الساحل الغربى لشبة الجزيرة العربية ضمن وصفه لسواحل البحر . ويدل هذا الكتاب على مدى الاهتمام اليونانى بالجزيرة العربية ومدى الاتصال فيما بينهما .

ومن بعد أجاثارخيديس جاء كاتب يونانى آخر ونقل عنه بعض وصفه للجزيرة العربية ، وهذا الكاتب هو أرتميدوروس " Artemidoros " والذى ظهر ١٠٤ أو ١٠١ ق.م . ومن أجمل ما أضافه أرتميدوروس فى كتابه ، إضافة إلى شرحه لطرق القوافل التجارية وانتقال التجارة بين سبأ ووادى الرافدين وأرض الأنباط ، نجد شرحه لطريقة انتقال القافلة التجارية من قبيلة عربية إلى قبيلة أخرى لحمايتها حتى وصولها إلى الجهة المقصودة .

وإن كان هؤلاء الكتاب الثلاثة قد تحدثوا عن الجزيرة العربية جغرافياً واقتصادياً ، إلا أنه فى العصر الرومانى جاء الكاتب والمؤرخ بروكوبيوس " Prokopios " ، وهو أحد رجال حاشية الإمبراطور الرومانى

جوستنيان الأول " Justinian I " (٤٨٣ – ٥٦٥ م) ، وأصبح أميناً للقائد البيزنطى بليزاريوس " Belisarius " عام ٥٢٧ ميلادية ، وتحدث عن الأمة العربية التى تسكن المنطقة العربية ووصف هؤلاء العرب بأوصاف – من وجهة نظره – تميزهم عن غيرهم من الأمم الأخرى التى تسكن العالم . فقال عنهم فى كتابه " عن الحروب Hyper ton polemon " : أنهم يجيدون السلب والنهب ولكنهم لا يجيدون اقتحام المدن ، وأنهم كثيراً ما يشنون الحروب فيما بينهم . وأنه لا يأتى اسمهم فى عقد المعاهدات . وأن منهم قبائل همجية بربرية آكلة للحوم البشر " Anthropophagoi " (٧٣) .

ويذكر سترابون كم أن المنطقة الجنوبية بالجزيرة العربية ثرية ، حتى أن الإمبراطور الرومانى أوكتافيوس " Octavius " ، الملقب بأغسطس ، شن حملة عسكرية عليها عام ٢٤ ق.م . ويحدد سترابون أن أغسطس أغار على هذه المنطقة وأراد التعامل مع أهلها إما على أنهم أصدقاء أثرياء أو السيطرة عليهم لكونهم أعداء أثرياء (٧٤) .

يمكن القول أن قمة اتصال العرب بالعالم الغربى المتمثل فى بلاد اليونان – والرومان أيضاً – كان بعد القرن الرابع قبل الميلاد . حيث اتصلت شمال الجزيرة العربية بشكل واسع ببلاد اليونانى أثناء القرن الثالث ق.م ، بعد وفاة الإسكندر الأكبر وتقسيم مملكته بالشرق بين قواده ، وامتد هذا الاتصال حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد إبان حكم الرومان . وبعد ذلك التاريخ صارت شبة الجزيرة العربية جميعها على اتصال باليونان خاصة والغرب عامة (٧٥) .

وكان التبشير بالديانات ، أيضاً ، داخل منطقة الجزيرة العربية ، سبباً فى اتصال العرب بالشعب اليونانى وكذلك الرومانى . فالديانة اليهودية تأثرت ، قبل دخولها المنطقة العربية ، بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً ، إذ ظلت قروناً تحت نير الحكم اليونانى الرومانى . وفى العصر السكندرى كانت

منتشرة فى منطقة البحر المتوسط ذات الثقافة و التأثير اليونانى كذلك ، وقد تعلّم أحبار اليهود الثقافة والفلسفة اليونانية وأدخلوا تلك الثقافة إلى ديانتهم . ولا يقل الأمر مع الديانة المسيحية والتى كانت تعج بتأثيرات الفلسفة اليونانية ، وخاصة أرسطو وأفلاطون . هذا فضلا عن تأثيرات مدرسة الإسكندرية . ومن ثم فلا يُنسى دور النساطرة فى نقل الثقافة اليونانية ودخولها إلى المنطقة العربية . وكذلك لا يُنسى دور السريان فى نقل حكم وأقوال اليونان ثم جاء العرب ونقلوا من هذه الحكم والأقوال ما يتفق وذوقهم عن الثقافة اليونانية من أقوال سقراط وأرسطو وأفلاطون وغيرهم (٧٦) .

وكان ممارسة العرب للتجارة وأمانتهم فى حماية وحراسة القوافل التى تمر بأرضهم مقابل جُعل يأخذونه من أصحاب هذه القوافل ، سبباً فى اتصال العرب بشعوب أخرى ، وكان الشعب اليونانى من الشعوب التى تعتمد على العرب فى تأمين تجارتهم وقوافلهم التى تمر بالأراضى العربية . ومن شدة الأمانة العربية التى حلقت فى الأفاق ووصلت كل الشعوب ومنهم اليونان ، أنهم كانوا يردُّون هذا الجُعل فى حالة تعرض القوافل للغارة وعدم تمكنهم من حمايتها .

وكان هناك اتصال أخر غير مباشر بين العرب واليونانيين . وذلك عن طريق الفرس ، فعنهم أخذوا ونقلوا الحضارة اليونانية وبعض مفرداتها . وذلك عندما أنشأ هُرمز الأول ملك الفرس مستعمرات من أسرى حربه مع الرومان . وكان هؤلاء الأسرى الرومان مثقفين بثقافة يونانية ، ومن ثم فقد نقل هؤلاء الأسرى معرفتهم بالهندسة والطب إلى الفرس أنفسهم ، وقد نزل بعضهم بمملكة الحيرة ، فأثّروا فى سكانها ، والذين كانوا بدورهم ذا أثر فى الأدب والحياة العربية . وكذلك كان الأمر فى مملكة الغساسنة ، إلا أن الغساسنة كانوا أرقى من أهل الحيرة لاتصالهم بصورة أكبر وشكل أوسع

بالثقافة اليونانية والمدنية الرومانية عن عرب الحيرة . ومن ثم كان المؤرخون من الغساسنة يكتبون تاريخهم ومدوناتهم باللغة اليونانية (٧٧).

ثالثاً : الغارة على الآخر فى الأدب اليونانى .

وردت الغارة فى الكثير من الكتابات الأدبية اليونانية ، سواء كانت كتابات تاريخية أو ملحمية ، وأيضاً فى الكتابات المسرحية وبخاصة التراجيدية منها . وتحدثت هذه الكتابات عن الغارة وأوضحت أسبابها ونتائجها ، وأحياناً جاءت بتصويرها وتسجيل أحداثها :

أولاً : الكتابات التاريخية : -

عرف اليونانيون الغزو والغارة عندما غارت قبائل قادمة من الشمال على مراكز الحضارة الموكينية وعلى ما تبقى من مراكز الحضارة المينوية حوالى عام ١١٠٠ق.م . وجاءت هذه القبائل فى صورة موجات متتالية من مهاجرين مسلحين يبغون الاستيلاء على أراضى وممتلكات الغير . وعُرفت هذه القبائل باسم الدوريين ، وعُرِفَ هذا الغزو بالغزو الدورى " Dorian Invasion ". وكانوا من الهمجية بمكان حتى انهم دمروا كل شئ واجههم فى غارتهم تلك . وقد اضطر السكان الأصليين أمام هذا الغزو وتلك الغارات أن يهاجروا هم أيضاً فارين بحياتهم وممتلكاتهم ، وغاروا بدورهم على أماكن أخرى واحتلوها بسواحل آسيا الصغرى واستقروا هناك . ولقد استقر هؤلاء الغزاة الدوريون القادمون من الشمال على الجزء الجنوبى الغربى من شبة جزيرة البلقان فى ثساليا " Thesssalia " وأرجوليس " Argolis" ولاكونية " Laconia " وكريت " Crete " ، وجعلوا من أنفسهم حكاماً ، ومن السكان الأصليين عبيداً (٧٨) .

يروى التراث الشعبى اليونانى أن بعضاً من القبائل والمدن اليونانية قد اتجهت مغيرة على قبائل أو شعوب أخرى لاحتلالها ؛ طمعا فيما تملكه

ومن اجل السيطرة عليها واستعباد سكانها . وذلك مثل غارة مدينة أثينا – فى عهد الملك كودروس " Codros " ابن نيلوس "Neleus " – على جزيرة ميليتوس بغرض استيطانها . وكذلك غارة الشعوب الأيولية ، التى هاجرت من ثيساليا وبوؤتيا " Boeotia " بشمال ووسط بلاد اليونان نحو المنطقة الشمالية بآسيا الصغرى واستوطنوها ، واحتلوا جزيرة لِسبوس " Lesbos " ومنطقة سهل طروادة " Troy " المواجهة للجزيرة . وأسسوا هناك مدناً محصنة مثل : بيتانى " Pitane " وموورينا " Myrina " وكومى " Cyme " وآيجيا " Aegeae " وسمورنة " Smyrna " (٧٩) .

لقد كانت هناك أسباب وراء غارة قبيلة يونانية على قبيلة أخرى أو غارة مجموعة متحالفة من القبائل ضد مجموعة قبائل أخرى : فازدياد عدد السكان ومن ثم قلة المساحة الجغرافية ، أدى إلى الحاجة لأرض أوسع وأرحب . وكذلك اتِجاه السكان إلى حرف أخرى غير ممارسة الزراعة مثل التجارة والصناعات الفنية ، والتى كانت تتطلب مواد ليست لديهم ولكنها موجودة بأراضى الغير . وكان ذلك سبباً فى تواجد اليونانيين وانتشارهم داخل منطقة شبه الجزيرة اليونانية وخارجها أيضاً . فوجدنا هناك مدناً يونانية قامت على أساس الحرب والغارة فى منطقة آسيا الصغرى وشمال أفريقيا وجنوب وشرق إيطاليا (٨٠) . وقد أدى كل ذلك بدوره إلى قيام غارات كبيرة حقاً ، مثل غارة بلاد اليونان على مدينة طروادة ، والتى كانت ذات مكانة تجارية تُحسد عليها فاستحقت هجوم الشعوب اليونانية وإغارتها عليها (٨١) . فيذكر ثوكوديديس شارحاً بدايات ظهور الغارة اليونانية وسببها ، وذلك عندما استطاع الملك مينوس " Minos " ، ملك جزيرة كريت ، أن يكوّن أسطولاً بحرياً ويقضى به على قراصنة البحر ، وصار الإبحار آمناً ، فبدأ ينظر إلى خيرات السواحل ، وأراد إسكان الناس بهذه السواحل فظهرت الغارة :

..... καὶ οἱ παρὰ θάλασσαν ἄνθρωποι μάλλον ἤδη τὴν κτῆσιν τῶν χρημάτων ποιοῦμενοι βεβαιότερον ᾤκουν, καὶ τινες καὶ τείχη περιεβάλλοντο ὡς πλουσιώτεροι ἑαυτῶν γίγνομενοι· ἐφιέμενοι γὰρ τῶν κερδῶν οἵ τε ἥσσους ὑπέμενον τῶν κρεισσόνων δουλείαν, οἵ τε δυνατώτεροι περιουσίας ἔχοντες προσεποιοῦντο ὑπηκόους τάς ἐλάσσους πόλεις . καὶ ἐν τούτῳ τῳ τρόπῳ μᾶλλον ἤδη ὄντες ὕστερον χρόνῳ ἐπὶ Τροίαν ἐστράτευσαν. [Thuc. I; 3 - 4]

" عندما كان الناس يسكنون حول البحر بشكل أكثر استقراراً ، فقد حققوا بالفعل مكسباً من الثروات . والذين أصبحوا أكثر ثراء من هؤلاء أخذوا فى إحاطة أنفسهم بحائط . وكانوا يرسلون الأقل من الأرباح ، حيث يقيم طبقة من العبيد الأقوياء . وإن المدن الأكثر قوة منهم ولديهم وفرة ، فأنهم يخضعون الضعفاء الخاضعين . ومن ثم فبهذه الطريقة وأثناء ذلك الوقت خاصة فقد توجهوا نحو طروادة " .

ولقد استطاع الملك مينوس بهذا الأسطول أن يهزم مدينة أثينا ويفرض عليها جزية سنوية . وذلك تبعاً لمبدأ أنه على المهزوم أن يقدم الجزية طواعية للمنتصر حتى يحميه ولا يقضى عليه (٨٢) .

وذكر ثوكوديديس أيضا انه لم يكن هناك مدينة بعيدة عن الغارة . وكان جميع اليونانيون يمارسون القرصنة والسلب والنهب والغارة " ἁρπαγή ἐξ ἐπιδρομῆς " على الآخر. حتى أن الملوك أنفسهم كانوا ينظمون الحملات للغارة والهجوم على من هم أضعف منهم . ولم يكن المغير يخشى أن يُعيّر بهذا التصرف ؛ بل هو يفخر به ويعلنه .

..... τὸν πόλεμον τῶν Πελοποννησίων καὶ Αθηναίων ὡς ἐπολέμησαν πρὸς ἀλλήλους, ἀρξάμενος·εὐθὺς καθισταμένου καὶ ἐλπίσας μέγαν τε ἔσεσθαι κα

ì

ἀξιολογώτατον τῶν προγεγενημένων , [Thuc., I, 1-5]

" عن حرب البيلوبونيزيين والأثينيين والذين تحاربوا مع بعضهم البعض . مُبتدأ فى الحال بموضعها ، وأخشى أن يكون عظيماً ، و أنها لجديرة بالذكر جداً عن حروب سابقة " .

ويذكر التاريخ أنه فى عام ١٢١٣ ق م . قام ملك أرجوس " Argos " بشن حرب على مدينة طيبة عرفت باسم حرب الأحلاف السبعة . وذلك بناء على طلب بولونيكِس " Polyneikes " . والذى وقع نزاع بينه وبين أخيه إتيوكليس " Eteocles " . حول من يتولى عرش مدينة طيبة منهما بعد وفات والدهم أوديبوس " Oedipus " . وعندما تمكن إتيوكليس من العرش طرد أخاه، والذى ذهب بدوره إلى أدراستوس " Adrastus " ملك أرجوس طالباً مساعدته فى استرداد ملكه ، وتنصيبه ملكاً على عرش طيبة . وعندما فشلت محاولة أدراستوس فى الغارة على طيبة أول مرة فقد عاود الكرة مرة أخرى بعد ستة عشر عاماً فى حرب عرفت باسم حرب الإبيجونى " Epigoni " أو الأبناء السبعة . وفيها قتل الأخوين كل منهما الآخر ، واحترقت مدينة طيبة عن أخرها (٨٣) .

ومن هذا نرى توطد الغارات والهجمات اليونانية على بعضهم البعض قبل أن يظهر العرب على مسرح الأحداث الإنسانية .

☐ثانياً : الكتابات الملحمية : -

لقد كانت الغارة أمراً معروفاً ومعلوماً منذ عصر هوميروس ومن قبله ، فعند فحص الملحمتين اللتين كتبهما هوميروس ، نجد هناك إشارات كثيرة لغارات وهجوم قبائل وشعوب على جيرانهم من القبائل والشعوب الأخرى .

ففى الكتاب الأول من الإلياذة وأثناء الحديث الطويل بين أخيلليوس " Achilleos " وأجاممنون " Agamemnon " . نجد أخيلليوس المهموم والحزين لما بدر من أجاممنون بطل وقائد الجيوش اليونانية ، التى توجهت لمحاربة طروادة ، يذكر لأجاممنون أن طروادة لم تسلبه أملاكه أو تغير عليه ، حتى تستحق حربه هو شخصياً :

οὐ γὰρ ἐγὼ Τρώων ἕνεκ' ἦλυθον αἰχμητάων
δεῦρο μαχησόμενος, ἐπεὶ οὔ τί μοι αἴτιοί εἰσιν·
οὐ γάρ πω ποτ' ἐμὰς βοῦς ἤλασαν οὐδὲ μὲν ἵππ
ους,
οὐδέ ποτ' . ἐν Φθίῃ ἐριβώλακι βωτιανείρῃ
καρπὸν ἐδηλήσαντ' , ἐπεὶ ἦ μάλα πολλὰ μεταξὺ
οὔρεά τε σκιόεντα θάλασσά τε ἠχήεσσα.
[Hom. Il., I, 155 - 160]

" لأننى لم أتى إلى هنا كمحارب بسبب الطرواديين رجال الحراب ،
إذ أنهم ليسوا مجرمين معى . لأنهم لم يسوقوا بعد بقرى ولا خيولى ،
ولا مشروباتى . لقد دمروا المحصول فى فثيا الدائرية مربية الأبطال ،
فبينهم هناك جبال ذات ظلال عظيمة جداً وبحر صاخب " .

إن ما يصوره هوميروس فى ملحمته الإلياذة من غارات وهجمات لليونانيين على الدول والأمم الأخرى بغرض سلبها ممتلكاتها يتفق كل الاتفاق مع ما ذكرته السجلات المصرية والحيثية عن اضطراب ذلك العصر الذى ذكره هوميروس . فقد جاء بهذه السجلات أن اليونانيين كانوا مجموعة من القراصنة يغيرون على الآخرين (٨٤) . وكان اليونانيون منذ ذلك العهد القديم وهم يفخرون بكونهم مُغيرين سالبين لثروات الغير . وقد أورد هوميروس فى ملحمته الأوديسية ، والتى كتبها فى النصف الثانى من القرن الثامن ق.م ، أن أودوسيوس بطل ملحمته يغضب ويعبس وجهه ويرفض أن يصفه أحد شباب وأمراء فاياكيا " Phaeacia" بأنه تاجر أو قبطان فى البحر :

..... ὃς θ' ἅμα νηὶ πολυκλήιδι θαμίζων,
ἀρχὸς ναυτάων οἵ τε πρηκτῆρες ἔασιν,

" ولكنه ذلك الذى يتنقل غالباً بسفينته ذات المجاديف العديدة ، كقائد لرجال تجار " .

Τὸν δ' ἀρ' ὑπόδρα ἰδὼν προσέφη πολύμητις Ὀδυσσεύς·
[Hom. Od., VIII; 161 - 162, 165]

" ولكن أودوسيوس ذو الخدع العديدة قال له وهو ينظر عابساً " .

ومن ثم أخذ أودوسيوس فى تلقين هذه الشاب المتسرع درساً فى كيفية الحوار ، وأخذ يسرد على مسامع الفاياكيين وملكهم ألكينوس مغامراته وغاراته . وذلك فقط بغرض إعلان فخره بكونه مُغير على الآخرين وسالباً لحقوقهم وممتلكاتهم ، وليس بتاجر أو ملاح فى البحر . وقد بدئها بغارته على مدينة اسماروس " Ismaros " ، فقال :

" Ἰλιόθεν με φέρων ἄνεμος Κικόνεσσι πέλασσεν,
Ἰσμάρῳ. ἔνθα δ' ἐγὼ πόλιν ἔπραθον, ὦλεσα δ' αὐτούς·
ἐκ πόλιος δ' ἀλόχους καὶ κτήματα πολλὰ λαβόντες
δασσάμεθ' , ὡς μή τίς μοι ἀτεμβόμενος κίοι ἴσης.
[Hom. Od., IX; 39 - 42]

" حملتنى الرياح من طروادة . وجلبتنى إلى اسماروس بالقرب من
الكيكونيين ، وهناك أخذت فى نهب المدينة وأجهزت
عليهم هم أنفسهم .
ومن المدينة استولينا على الزوجات والثروات الكثيرة واقتسمناهم
فيما بيننا ، على ألا أُخدَع وأتساوى مع أحد " .

وردأ على هذه الغارة والهجوم المباغت ؛ أسرع الكيكونيون " Cicones " بجمع شتاتهم وطلب المساندة من أصدقائهم وأحلافهم ، لرد هذا الهجوم ومحاربة المغيرين . وبالفعل تمكنوا من رد هذه الغارة المباغتة ودحر أودوسيوس ورجاله (٨٥) .

ومما رواه أودوسيوس أيضاً من غارات ، نجد غارته هو ورفاقه على كهف الكوكلوبس بولوفيموس " Polyphimus " ، ورغبتهم فى الاستيلاء على المؤن الموجودة داخل الكهف :

ἔνθ' ἐμὲ μὲν πρώτισθ' ἑταροι λίσσοντ' ἐπέεσσιν

τυρῶν αἰνυμένους ἰέναι πάλιν , αὐτὰρ ἔπειτα
καρπαλίμως ἐπὶ νῆα θοὴν ἐρίφους τε καὶ ἄρνας
σηκῶν ἐξελάσαντας ἐπιπλεῖν ἁλμυρὸν ὕδωρ ·
[Hom. Od., IX , 224 - 227]

" توسل إليّ رفاقى فى البداية أن أظل حتى يأخذوا من الجبن ويدفعوا الماعز والأغنام من الحظائر إلى السفينة السريعة ثم يعودوا أدراجهم ، ويبحروا فى خفة فوق الماء المالح ".

وأمام هذه الجزيرة – كما يذكر هوميروس – كان هناك جزيرة أخرى ثرية خصبة " Νῆσος λαχέια " ، تلك الجزيرة الوفيرة الخصب والنماء ، وفيرة القطعان ، والتى لم تصلها أقواس الصيادين بعد ، ومن ثم فهى تصلح للاستعمار (٨٦) . وقد جاء هذا الوصف على لسان بطل الملحمة أودوسيوس . مما يدل على مدى قِدم توغل روح الغارة والاستعمار لدى اليونانيين منذ القرن التاسع والنصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد . ويدل على أن أودوسيوس كان أول مستعمر مُغير على أراضى الغير ظهر فى الأدب الكلاسيكى . ويدل أيضاً على أن الشاعر هوميروس هو أول من فتح بابِ الاستعمار نحو الغرب (٨٧) . خاصة وأنه يؤرخ لفترة المد الاستعمارى اليونانى نحو الغرب ، بغرض التوسع والانتشار . مثل ذكره لوصول أودوسيوس ، بطل الأوديسية ، إلى الأراضى الموجودة بالقرب من كومای "Cumae" . ومن ثم وجدنا هوميروس يذكر جزيرة بيثيكوزای " Pithecusae " بالبحر التيرانى " Tyrrhene " . ويذكر أن أودوسيوس قد نزل على غرب إيطاليا ، ومر بكثير من الشعوب هناك ، مثل شعب الليستروجونيين " Laestrygones " وجزيرة كيركى " Circe " وكالوبسو " Calypso " وأيضاً جزيرة السيرينيات " Sirenes " (٨٨) .

وعندما نأتى إلى ملاحم العصر الهيللينستى والتى تمثلها ملحمة الأرجوناوتيكا " Argonautica " للشاعر أبوللونيوس الرودى " Apollonius Rhodius " ، والتى كتبها فى العقد الثانى من عمره ٢٨٥ –

٢٨٠ ق.م ، نجدها مليئة بالكثير من العلاقات المتوترة بين الجيران وبعضهم البعض ، وغارات هنا وأخرى هناك . وذلك طمعاً فيما تملكه قبيلة غير موجود لدى القبيلة المغيرة ، كالمحاصيل الزراعية ، أو خامات معدنية تخرج من باطن الأرض . ومن أكثر الأدلة التى أوردها أبوللونيوس فى ملحمته دليلاً على توتر العلاقات بين القبائل والممالك اليونانية ، ما ذكره عن عودة بحارة الأرجو ليلاً إلى أرض الملك الكريم المضياف كوزيكوس " Cyzicus " ملك الدوليونين " Doliones " ، فظنهم الدوليونيون أعدائهم البيلاسيجيين " Pelasgii " وقد أغاروا عليهم ، فهاجموهم وحاربوهم . وبسبب الظلام، تقاتل الفريقان وكل منهم يجهل حقيقة الآخر :

οὐδέ τις αὐτὴν νῆσον ἐπιφραδέως ἐνόησεν
ἔμμεναι· οὐδ' ὑπὸ νυκτὶ Δολίονες ἄψ ἀνιόντας
ἥρωας νημερτὲς ἐπήισαν· ἀλλά που ἀνδρῶν
Μαρκιέων εἴσαντο Πελασγικὸν ἄρεα κέλσαι.
τῶ καὶ τεύχεα δύντες ἐπὶ σφίσι χεῖρας ἄειραν.
σὺν δ' ἔλασαν μελίας τε καὶ ἀσπίδας ἀλλήλοι
σιν
ὀξείῃ ἴκελοι ῥιπῇ πυρός, [Apol. Arg., I; 1021 - 1027]

" و لا أية واحد لاحظ بعناية أن هذه هى الجزيرة . ولا الدوليونيون المعصومون من الخطأ بسبب الظلام قد أدركوا عودة الأبطال ثانية . لكنهم بدوا كالرجال الماركيين وقد جاءوا من الأرض البيلاسيجية – الثيسالية – . ولذلك رفعوا أسلحتهم وأيديهم ضدهم . واندفعوا برماحهم ودروعهم الدائرية ضد بعضهم البعض ، يشبهون اندفاع النار السريع " .

وفى ملحمة الأرجوناوتيكا أيضاً ، تأتى إشارة أخرى تُظهر مدى تـوتر العلاقات بين سكان منطقة بيثونيـا " Bithynia " . حيـث الـصراع بـين البيبروكيين " Bibryces " ، والذين يحكمهم الملك المتغطرس أموكـوس " Amycus " وبين جيرانهم الماريانديين " Mariandunoi "

، والذين يحكمهم الملك لوكويـــوس " Lucoios " . إذ بعـــد مقتـــل الملـــك المتغطرس أموكوس ، على أيدى أحد بحارة السفينة أرجو ، تنّقض جيـــوش الملك لوكويوس على قرى البيبروكيين وأراضيهم نهباً (٨٩) :

νήπιοι , οὐδ' ἐνοήσαν ὅ δή σφισιν ἐγγύθεν ἄλλο
πῆμ' ἀίδηλον ἔην . πέρθοντο γὰρ ἠμὲν ἀλωαὶ
ἠδ' οἷαι τῆμος δήῳ ὑπὸ δουρὶ Λύκοιο
καὶ Μαριανδυνῶν ἀνδρῶν , ἀπεόντος ἄνακτος .
[Apol. Arg., II , 137 – 140]

" يالا الحمقى . لم يلحظوا أن كارثة مدمرة أخرى كانت على مقربة منهم . إذ إن أجرانهم كان يتم نهبها ، كما أنهم صاروا بمفردهم تحت وطأة حربة لوكويوس ورجاله الماريانديين . وذلك بعد موت ملكهم " .

ويجدر الإشارة هنا أن ما أورده أبوللونيوس من أحداث داخل ملحمته الأرجوناوتيكا ، يُعد من الناحية التاريخية أقدم مما أورده هوميروس فى ملحمتية من أحداث ، أى أن الغارة على الآخر قديمة جداً واقدم مما رواه هوميروس فى الإلياذة والأوديسية .

ثالثا : المسرحيات التراجيدية : –

لقد تناولت التراجيديا اليونانية الغارة من جميع جوانبها . وأهتم شعراء التراجيديا الثلاثة أيسخولوس " Aeschylus " وسوفوكليس " Sophocles" ويوريبيديس " Eurepedes " بذكر تفاصل الغارة ، من أسباب وأحداث ونتائج .

فالشاعر التراجيدى أيسخولوس أخذ حادثة حرب أبناء أوديبوس ، ومجئ بولونيكس بجيش أجنبى كى يغير به على مدينته طيبة من أجل استرداد عرشه من أخيه إتيوكليس ، وسردها فى مسرحية من أجمل المسرحيات التراجيدية اليونانية التى تحدثت عن أسباب الغارة وأحسنت

تصويرها . وهى مسرحية سبعة ضد طيبة والتى عرضت عام (٤٦٧ ق م)

ومن المسرحيات التراجيدية الأخرى ، والتى تناولت أسباب الغارة وأثرها على وطن ونساء الطرف المهزوم ، نجد مسرحية نساء تراخيس " Trachiniai" للشاعر سوفوكليس ، والتى عرضها عام (٤١٣ ق.م) . وقد ورد بها مشهد يصور رسول يدخل إلى خشبة المسرح ومعه مجموعة من سبايا مدينة يوروتوس " Eurutos " ، التى أغار عليها البطل هيراقليس " Heracles " فى إحدى مغامراته . وسلبه لأحدى المدن وتدميرها . وقال الرسول ليخاس " Lichas " لديانيرا " Deianira " زوجة هيراقليس :

ταύτας ἐκεῖνος Εὐρύτου πέρσας πόλιν
ἐξείλεθ' αὑτῷ κτῆμα καὶ θεοῖς κριτόν. [Soph. Trach., 244 - 245]

" أنه – هيرقليس – دمر مدينة يوروتوس وأخذ هؤلاء غنيمة له وتقديمة للآلهة " .

ثم أخذ ليخاس يشرح لديانيرا سبب غارة وهجوم هيراقليس على مدينة يوروتوس (سطور ٢٤٨ – ٢٩٠) . ولكن فيما بعد يتضح السبب الحقيقى وراء غارة هيراقليس ، وهو السبب الذى لم يذكره ليخاس فى البداية ، ولكن يأتى رسول آخر ويقص على الملكة ديانيرا ما سمعه من ليخاس بخارج القصر ولم يذكره للملكة فيقول لها :

..... ὡς τῆς κόρης
ταύτης ἑκατι κεῖνος Εὔρυτον θ' ἕλοι
τήν θ' ὑψίπυργον Οἰχαλίαν, Ερως δέ νιν
μόνος θεῶν θέλξειεν αἰχμάσαι τάδε
οὐ ταπὶ Λυδοῖς οὐδ' Ομφάλῃ πόνων
λατρεύματ' οὐδ' ὁ ῥιπτὸς Ἰφίτου μόρος.
[Soph. Trach., 352 - 357]

" حقيقة أنه من أجل هذه الفتاة توجه نحو يوروتوس و أويخاليا ذات الأبراج العالية ، إذ أن الحب فقط من بين الآلهة قد مسه وجعله يرتكب هذه الأفعال . وليس ما كان فى لوديا ، ولا الخدمات الشاقة فى أومفالى ، ولا الموت الذى قذف به إفيتوس " .

وأخذ الرسول يشرح أن والد الفتاة عندما رفض تزويجها من هيراقليس سراً ، فقد تزرع الأسباب وأغار على المدينة وقتل ملكها وسبى الفتاة لنفسه (سطر ٣٥٨ – ٣٦٥). وفى مسرحية الطروادیات " Troiades " والتى عرضها يوريبيديس عام (٤١٥ ق.م) . فقد صَوَرَ أثر الغارة على نساء المدينة المهزومة ، وتحولهن إلى سبايا لقاتلى أولادهن وأزواجهن. إذ تتحاور هيكابى " Hecabe " زوجة برياموس " Priamos "مع الجوقة عن مصيرها ومصير الطروادیات الأخريات وماذا فعلت بهم غارة اليونانيين على مدينتهم طروادة (٩٠) . وفى الحوار بين مينيلاوس وجوقة المسرحية ، يوضح مينيلاوس سبب غارة بلاد اليونان على طروادة . ويذكر بأنه ليس لاستعادة هيلينى وعودتها مرة أخرى لليونان ، ولكن الغارة من أجل تأديب ومعاقبة الناكر للجميل باريس :

..... ὁ γάρ δή πόλλα μοχθήσας ἐγώ
Μενέλαος εἶμι καὶ στρατεύμ' Αχαιίκον.
ἐλθὸν δε Τροὶαν οὐχ ὁσόν δοκοῦσι μὲ
γυναίκος οὕνεκ' , ἀλλ' ἐπ' ἀνδρ' ὸς ἐξ ἐμόν
δὸμον δαμαρτὰ ξεναπὰτης ἐλησὰτο .
[Eur. Troid., 862 - 866]

" لأننا عانينا كثيراً أنا مينيلاوس والجيش الآخى ، فقد أتينا إلى طروادة لا ليروا زوجتى هناك فقط ، ولكن من أجل ذلك الرجل الغشاش الذى سلب زوجتى من منزلى " .

وفى مسرحية أندروماخى " Andromache " للشاعر يوريبيديس والتى عرضت عام (٤٢٣ ق.م) ، وقد ذكر فيها كم كانت الصراعات والعداوة والبغضاء قائمة بين الممالك وبعضها البعض . وقد جاء على لسان مينيلاوس " Menelaos " بأنه سوف يتوجه إلى مدينة مجاورة لإسبرطة ، كانت خاضعة وتابعة من قبل ، ولكنها تريد الآن الانفصال والفكاك من التبعية لها ، ومن ثم فسوف يتوجه بجيشه ويغير عليها ويعيدها لسطوته مرة أخرى :

καὶ νὺμ μεν οὐ γάρ ἀφθονόν σχόλην ἐχω
ἀπείμ' ἐς οἰκούς · ἐστί γάρ τίς οὐ πρόσω
Σπάρτης πόλις τίς, ἡ πρὸ τοῦ μεν ἡν φίλη,
νυν δ' ἐχθρὰ ποὶει , τήνδ' ἐπεξέλθειν θέλω .
[Eur. Andro., 732 - 735]

" ولأنه ليس لدى الآن متسع من الوقت ، إذ على أن أرحل إلى منازلى .
لأنه يوجد مدينة ما لا تبعد عن إسبرطة ، وقد كانت صديقة من قبل ،
ولكنها الآن صارت عدوة ، وأرغب فى عقابها " .

وفى مسرحية المستجيرات " Hiketides " والتى عرضت عام (٤٢١ ق.م) ، يصور يوريبيديس غارة البطل ثيسيوس " Theseos " على مدينة طيبة . حيث يقوم بغارة لسبب جديد وغريب ، يمكن أن نطلق عليه غارة لغرض نبيل . فهو لا يغير دفاعاً عن وطنه أثينا ولا بغرض السلب والنهب ، ولكن لتحقيق شريعة السماء والعدل الإلهى . إذ يرغب فى دفن جثث القتلى من الأرجيين بناء على طلب أمهاتهم المستجيرات به . ويُنهى يوريبيديس المسرحية بظهور الربة أثينا والتى تطالب الملك أدراستوس " Adrastos " وشعبه بتأدية قسم ويمين بعدم الغارة على أثينا وعلى ضرورة صدهم لغارات الآخرين الذين يغيرون عليها ، وذلك جزاء لمساعدة ثيسيوس لهم فى دفن موتاهم .

ἀλλ' ἀντι τῶν σῶν καὶ πόλεως μόχθηματων

πρωτὸν λαὰβ' ὁρκὸν . τὸνδε δ' ὀμνύναι χρέων
Αδράστον, οὗτος κυριὸς, τυραννὸς ὠν,
πὰσης ὑπὲρ γῆς Δαναῖδων ὁρκωμὸτειν .
ὁ δ' ὁρκὸς ἐσταὶ , μηπότ' Αργεῖους χθὸνα
ἐς τὴνδ' ἐποισειν πολὲμιον παντεὺχιαν,
ἄλλων τ' ἰοντων εμπὸδων θησεὶν δὸρυ.
ἠν δ' ὁρκὸν ἐκλιπὸντες ἐλθωσὶν, πάλιν
κὰκως ὀλέσθαι προστρέπ' Αργεῖων χθόνα ,
[Eur. Hiketides, 1187 - 1195]

" ولكن أولاً خذ عهداً بحمايتك ومدينتك من الأخطار . وعلى أدراستوس تأدية هذا القسم . وعليه أن يؤدى القسم لما له من قوة وسلطان على كل أرض الدنائيين . والقسم هو : ألا يشن الأرجيون أبداً على هذه الأرض حرباً بأسلحة . وأن يضع درعه أمام المغيرين الآخرين من المشاة . وعندما يكون هناك حنث بالقسم وحرب . فعليك أن تدعو بهلاك أرض الأرجيين ثانية "

وفى مسرحية أبناء هيراقليس " Herakleidai " يصور يوريبيديس غارة يوروسيثيوس " Eurystheus " ملك أرجوس على مدينة أثينا ، من أجل عودة أبناء هيراقليس إلى مدينتهم . ولكن أثينا تصد هذه الغارة ، وتدافع عن نفسها وتمنع قتل أبناء هيراقليس على يد ملك أرجوس .

رابعاً : الغارة فى الأدب العربى .

لم يكن للعرب قبل الإسلام أدب غير الشعر ، ولقد سجل العرب فى شعرهم كل ما يمكن الاعتماد عليه فى تخيل ورسم صورة جيدة عن هذه الحياة بكل ما فيها . ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن شعر العرب قولته المشهورة : " الشعر ديوان العرب " .

وعلى الرغم من وجود العرب كأمة لها حياتها ووجودها البشرى منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلا أن الشعر الجاهلى لا يغطى إلا المائة عام أو مائة وخمسون عام قبل الإسلام . أى أن الشعر الجاهلى يغطى فترة من الحياة العربية لا تتخطى بدايات القرن السادس قبل الميلاد .

وكان كل أو معظم شعرهم من النوع الغنائى ، والذى يشمل شعر فخر وغزل ومديح وهجاء وشعر حماسة ورثاء . ولم يكن هناك لدى العرب فى شعرهم ما عرفه اليونانيون من نظم الملاحم أو كتابة المسرحيات ، تراجيدية كانت أو كوميدية . ولكن يجب ملاحظة أن الشعر العربى الجاهلى لم يكن كله نتاج أُناس بدو يعيشون فى الصحراء ؛ إذ كان هناك من شعراء العرب من رحل نحو بلاد الشام واتخذ من مملكة الغساسنة التابعة للروم مقراً له ، وهناك آخرون اتخذوا من مملكة المناذرة بالعراق التابعة للفرس مقراً لهم . و قد أثرت مدنية هاتين المملكتين على أشعار من استقروا بها من الشعراء العرب (٩١) .

وكان الشعر الجاهلى يخلد الروح القبلية ، لما فيه من فخر قبيلة بانتصاراتها على القبائل الأخرى . وكان لدى كل قبيلة عربية قبل الإسلام راويتها الذى يحفظ مآثرها وانتصاراتها حتى يرويها على مسامع الأجيال ليفخروا بقبيلتهم . وكانت القبائل تنظر إلى هذه القصائد على أنها سجل يخلد أمجادها . ولذلك فقد كان شاعر متحذلقاً مثل الحارث بن حلزة فى قبيلته هو شاعر المهاترة والتشهير بخصومه وخصوم قبيلته (٩٢) .

وكانت تقوم الغارات والحروب بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى إما للطمع فى ثروات الغير أو للتأديب ، أو لتأمين الحدود والقوافل . وقد أدت الغارات الكثيرة بين القبائل العربية وبعضها البعض ، أو حتى بين قبيلة عربية وأمة أخرى غير عربية ، إلى الفخر بذلك اليوم وتلك الحرب وتخليدها فى شعرهم ، ومن ثم إلى قيام كثير من الحروب . وقد بلغت من الكثرة حتى أُطلق عليها " أيام العرب " . فالغارات بين قبيلتى داحس والغبراء أُطلق عليها يوم داحس والغبراء أو حرب السباق . وهكذا الأمر مع يوم الجفار ، والذى كان بين قبيلتى تميم وبكر وتغنى بها النابغة فى قصيدة الرد على عيينه بيت ١٦ – ١٧ فقال :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنى
شهدت لهم مواطن صادقات أتيتهم بود صدر منى

وكذلك كان يوم فطيمة بين قبيلتى شيبان وتغلب وتغنى بهذا اليوم الشاعر الأعشى فى معلقته بيت ٦٤ وقال :

نحن الفوارس يوم الحِنو ضاحية جنبى فطيمة لا ميلٌ ولا عزُلٌ

ويوم بارق والذى كان بين هاتين القبيلتين أيضاً وقد تغنى به الأسود بن يعفر فى قصيدة ذكرى بيت ٩ . بينما يوم عراعر كان بين عبس وكلب و يوم حليمة كان بين الغساسنة والمناذرة ؛ حيث انتصر الحارث بن جبلة ملك الغساسنة على المنذر الثالث ملك الحيرة فى قِنّسرين عام ٥٥٤ ميلادية ، وكان هذا اليوم سبباً فى المثل القائل : " ما يوم حليمة بسر " . ويوم خزارى كان بين نزار واليمن ، ويوم ذى قار كان بين شيبان والفرس ، حيث انتصر بنى شيبان على الفرس الذين استكثروا الجعل الذى يدفعونه لشيبان مقابل حماية قوافلهم من السلب والنهب ، فرفضوا دفع الجُعل فغارت شيبان على قافلة فارسية وقتلت حُماتها وحققوا نصراً واحتفوا به ، وأطلقوا عليه يوم ذى قار . ويوم زبيدة و الحمامة ويوم الكُلاب (٩٣) .

وكان الشاعر العربى الجاهلى يتخذ أحيانا من الحديث عن الغارة وهجاء الأعداء فرصة كى يمدح عمل عربى كريم ما ؛ وذلك كما فعل زهير بن أبى سلمى عندما مدح فى معلقته هرم بن سنان والحارث بن عوف بطلى السلام فى الحرب بين قبيلتى عبس وذبيان . وقد كتب فيهما قصيدته المعلقة متحدثاً عن الحرب وأثارها ، ثم عن السلام وأثره ، وإن كان هناك فى القلب غضاضة وفرص سانحة لنشوب الحرب ثانية ؛ وذلك للطبيعة التى جلبت على الغارة والحرب فمن العسير أن تركن إلى السلام طويلاً (٩٤) . إذ يصور زهير بن أبى سلمى الحرب بقوله :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجَّم

متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة وتضر إذا أضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم ، كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها : قرى بالعراق من قفيزٍ ودرهم

وكان العربى فى شعره يسخر من القبائل التى اتخذت من زراعة الأرض وسيلة ومهنة حياة ؛ إذ كان يفضل عليها الغارة والسلب واستخدام السيف . فشاعر مثل الأعشى الكبير يُعير بنى إياد على اشتغالهم بالزراعة ، تلك المهنة المتدنية . فيصورهم وهم جلوس خلف أبوابهم فى انتظار المحصول يعالجون القمل مشدودين إلى الأرض بقيود قوية لا يستطيعون معها حراكاً أو منها فكاكاً (٩٥) . فيقول :

لسنا كمن جعلت إياد دارها تكريت تنظر حبها أن يحصدا
قوماً يعالج قملاً أبناؤهم وسلاسل أجدا وبابا موصدا

ويستمر الأعشى على ذلك النهج حتى يفخر بعمله وعمل قبيلته فى السلب والنهب والغارة على الآخر . وأن ذلك أكرم وأفضل للفرد . فيقول :

جعل الإله طعامنا فى مالنا رزقاً تضمنه لنا لن ينفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تراع فإنها لن تطردا

وهكذ فإن الحياة فى العصر الجاهلى كان قوامها الغارة ورد الغارة ، وغزو وتحالف ثم غزو وغارة وحرب وهكذا . واختلط فيها مفهوم الحق بالقوة . وأن التعبير عن الذات ووجودها لا يكون إلا بالهدم والخراب والسلب والنهب ، والغارة على الآخر وسلبه ما يملك وهدم ما لديه (٩٦) .

وصَوَرَ دريد بن الصمة هذه الحياة بهذا الشكل عندما قال :

يُغارُ علينا واترين فيُشتفى بنا إن أُصِبْنا أو نُغيرُ على وِترِ
قَسَمْنا بذاك الدهرَ شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحنُ على شطرِ

ولا يختلف هذا القول عن قول شاعر آخر غير دريد قائلاً :

وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

خامساً : نتائج البحث : -

كما بدى من البحث ، أن الشعب اليونانى وكذلك شعوب المنطقة العربية كانت تحى فى ظروف متشابهة لحد ما . سواء كانت هذه الظروف سياسية او اجتماعية أو حتى جغرافية. فلقد بدأ كلاهما حياته منذ مطلع ظهوره على مسرح الأحداث البشرية على العشيرة ثم القبيلة . وكان شيخ القبيلة هو الذى يدير شئونها . وكان كلاهما – شعب اليونان والشعب العربى – يلجأ للغارة من أجل سلب ممتلكات الغير ، أو لصد غارات الغير . وقد اضطر الشعب اليونانى إلى تكوين الأحلاف ، السياسية منها والدينية . وذلك لصد هجمات وغارات المغيرين. وهذا ما فعله العربى قبل الإسلام ، حيث لجأ إلى تحالف قبيلتين أو أكثر ؛ لصد هجمات وغارات الغير . وكان لدى كليهما أيام وأشهر تتوقف فيها الغارات والحروب بين المتقاتلين ، أطلق عليها اليونانيون أيام حُرم " **Ekecheira** " ، بينما أطلق عليها العرب أشهر حرم . أدت هذه التشابهات بين الشعبين إلى تداخل الشعبين وتبادل العلاقات بينهما ، ومن ثم كان هناك تأثير لكل منهما فى الأخر . تأثير سياسى وثقافى ودينى ، وأيضاً اقتصادى . وإن كان تحرك الشعب اليونانى نحو المنطقة العربية أسبق وأسرع وأكثر تأثيراً ، باستثناء شعب فينيقيا ، الذى كان له أسطول يجوب به البحار الواسعة المختلفة ، حتى وصل فى تنقلاته إلى بلاد اليونان . وقد تبادل الفينيقيون التجارة والسلع مع الشعب اليونانى . فكانوا ينقلون من المنطقة العربية كافة السلع التى يحتاجها اليونانيون ، حتى تتاجروا فى البشر . ومن ثم فليس بغريب أن يكون الفينيقيون قد نقلوا وأخذوا عن اليونانيين آراء وأفكار . تلك الآراء والأفكار التى لا يمكن أن تحد من انتقالها الحدود الجغرافية أو النظم السياسية . وعلى ذلك فليس ببعيد أو غريب أن يكون من

بين ما نقله العرب عن اليونان الغارة وسلب مقتنيات الآخر ؛ إذ كان اليونانيون أقدم من العرب فى السلب والنهب والغارة على الآخر ، وعندما احتك بهم العرب فقد نقلوا عنهم هذه الفكرة مع ما نقلوه عنهم .

وأخيراً يوصى البحث بضرورة دراسة وإظهار ما كان لليونانيين من تأثير على المنطقة العربية عامة والشرق خاصة . وكذلك ما كان للمنطقة العربية عامة والشرق خاصة من تأثير على الشعب اليونانى . ويوصى بعمل الدراسات حول صورة الشرق فى الكتابات الكلاسيكية ، من شعوب وأفراد وأنظمة حكم ، وأيضاً معتقدات دينية . وذلك حتى نصل إلى طبيعة العلاقات بين شعبى المنطقة العربية وبلاد اليونان ، وعما إذا كان هناك نوع من الغزو الثقافى بينهما .

هوامش البحث

([1]) جمال البنا : المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء .- دار الفكر الإسلامى ؛ القاهرة .- ١٩٩٨ .- ص ص ٩ - ١٠.

([2]) -http://www-adm.pdx.edu/user/sinq/greekciv/arts/greeklit/homer .htm

وانظر : إبراهيم عبد الرحمن : الشعر الجاهلى قضاياه الفنية والموضوعية ؛ ط٢ .- مكتبة الشباب ؛ القاهرة .- ١٩٨٤ .- ص ٢٥٨ .

وانظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام .- دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ؛ الإسكندرية .- ١٩٩٦ .- ص ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .

([3]) وهب أحمد رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد .- عالم المعرفة ؛ ع ٢٠٧ .- المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ؛ الكويت .- مارس ١٩٩٦ . ٩٣w .

([4]) خليل سارة : " عوامل تقدم الفكر الحضارى اليونانى القديم وأسبابه " ؛ حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية : الرسالة ١٧٧ ؛ الحولية الثانية والعشرون .- مجلس النشر العلمى : جامعة الكويت .- ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م .- ص ص ١٨ - ٢١ .

وانظر : سيد أحمد على الناصرى : الإغريق . تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر ؛ ط٢ منقحة ومزودة .- دار النهضة العربية ؛ القاهرة ١٩٧٧ ؛ ص ص ٨ - ١٠ .

([5]) لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- دار النهضة العربية للطباعة والنشر ؛ بيروت .- ١٩٧٩ .- ص ص ٣٥ - ٣٦ ، ٤٠ - ٤١ .

([6]) - H. D. F. Kitto, The Greeks, Penguin Books; U.S.A., 1st pub., 1951, Reprinted 1962, Pp. 28 - 29, 38 - 39 .

cf., J. Marincola, " Odysseus and the historians ". http://www.dur.ac.ak/classics/histos/1997/marincola.html,1997.

وأنظر أيضاً : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ ترجمة : محمد بدران ؛ مج ٣ ؛ ج٦ " حياة اليونان " .- ١٩٥٣ .- طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ ٢٠٠١.- ص ٢٨٤ .

وذلك على الرغم مما صوره هوميروس فى ملحمتيه ، وخاصة الأوديسية ، عن مدى العيشة والحياة الرغدة التى تحياها الشعوب اليونانية ، بالمناطق المختلفة من العالم اليونانى ، التى يمر بها أودوسيوس أثناء رحلاته من أجل العودة إلى وطنه جزيرة إيثاكا بغرب بلاد اليونان . فلقد

صور هوميروس الحياة اليونانية وهى مغلوبة بالثقافة الخمرية الكرومية "Culture of vine " .

(7) أحمد أمين : فجر الإسلام .- الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ القاهرة .- ١٩٩٦ .- اص ٦ - ١٠ .

(8) وهب أحمد رومية : المرجع السابق .- ص ص ٩٢ - ٩٣ .

(9) - Incyclopedia Britannica CD 99, " Arabia, Jordan".

وتبلغ مساحة الجزيرة العربية ٢ مليون و ٥٩٠٠٠٠ كم مربع .

وانظر أيضاً : أحمد أمين : فجر الإسلام .- ص ١٣ .

(10) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 81 - 82 .

وأنظر أيضاً : سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق . ص ص ٧٧ ، ١٣٥ .

(11) - P. Georges, Barbarian Asia and the Greek Experience : the Johns Hopkins University press, 1994 , Pp. 13 - 25 .

وانظر : أرنولد توينبى : تاريخ الحضارة الهلينية ؛ ترجمة : رمزى جرجس ؛ راجعه صقر خفاجة .- الألف كتاب ؛ ع ٤٥٨ .- مكتبة الأنجلو المصرية ؛ القاهرة .- ١٩٦٣ .- ص ص ٤٨ - ٤٩ ، ٦١ - ٦٢.

وأنظر أيضاً : سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ١٣٣ .

(12) كانت دولة المدينة اليونانية " Polis " ، كما يرى أرسطو فى كتابه السياسة ، لا يجب أن يزيد عدد سكانها عن ٥٠٠٠ مواطن حتى يعرفوا بعضهم البعض جيدا ويرتبطوا ببعضهم البعض ، و أكد على ذلك أفلاطون فى كتابه الجمهورية . وكان هذا العدد الصغير مُدعاة لنصرة بعضهم البعض أحياناً ، كما رأينا عندما ساعدت موكيناى " Mycenae "

اليونانيين فى حربهم ضد الفرس بجيش قوامه ثمانين رجل ، وتقبل اليونانيون المساعدة شاكرين ولم يسخروا من قلة العدد . وإن دلّ ذلك على شئ فإنما يدل على مدى التقارب والتجانس فيما بين الدول المدن اليونانية .
cf., H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 65 - 67

([13]) لقد شهد القرن التاسع وأوائل القرن الثامن ق.م. نظم ملحمتى هوميروس الخالدتين الإلياذة والأوديسية . واللتان تصوران المجتمع اليونانى وهو فى طور النظام القبلى الاجتماعى وبداية ظهور الدول المدن اليونانية المتناحرة المتحاربة . وكم كانت هذه الدول المدن فى حاجة دائمة إلى سواعد سكانها من أجل الدفاع وحمايتها من هجمات المغيرين عليها .

انظر : لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- ص ص ٣٨ - ٣٩ ، ٢٢٨ - ٢٣١ .

([14]) سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ص ١٠ ، ٩٩ .
Cf., H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 65 - 67 .

([15]) لطفى عبد الوهاب يحيى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى . ص ص ٩٤ ، ١٤.

([16]) ويستخدم هيرودوتوس الصفة " Αραβίος, -α, -ον " إشارة إلى الشخصية العربية نفسها بعد ذلك ، واصفاً الجبال التى توجد بالناحية الشرقية وتمتد من شمال مصر حتى جنوبها .

([17]) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ٣٦ - ٣٧ .

([18]) أحمد امين و زكى نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم .- الجزء الأول : " فى الأدب القديم وأدب العصور الوسطى " .- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ القاهرة .- ١٩٤٣ .- ص ٣٥٥ .

(19) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة . ص ٣٥٩ .

(20) -Encyclopedia Britannica C D 99 , "Arabia, The region" .

(21) أحمد أمين : فجر الإسلام .- ص ص ١٣ ، ١٦ – ١٧ .

(22) - Encyclopedia Britannica C D 99, "Hammurabi " .

وانظر أيضاً : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ٢١ .

(23) إبراهيم عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ٣١٨ .

وعن غارات العرب على بعضهم البعض طمعاً فى الممتلكات والثروات ، وجدنا التوراة وقد أورد فى مختلف أسفاره ، كم كانت العلاقات بين القبائل العربية على غير هُدى . فقد جاء فى التوراة أن العلاقة كانت غير مستقرة بين سكان منطقة عوص الصحراوية القريبة من سوريا والتى كان يقطنها أيوب وآله من بنى قِدمِ (التوراة : سفر أيوب ١:١ ، ١-٣) ، وكانت المنطقة تجمع بين الزراعة والرعى ، وكان لدى أيوب كثير من البقر والإبل والغنم ، حتى كان مطمعاً لجيرانه الكلدانيين ، سكان وادى الرافدين (التوراة :-سفر أيوب : ١:٣ ، ١: ١٥) . وكذلك ورد بالتوراة مدى توتر العلاقات بين العرب سواء من البدو أو الحضر والعبرانيين . حيث هاجم العرب القاطنين بالقرب من الكوشيين مملكة يهوذا على عهد يهورام " Yehoram " ملك جُدة " Judah " (٨٤٩ – ٨٤٢ ق.م.) وقد هاجموا قصر الملك وسبوا النساء وأسروا أبنائه عدا واحداً ونهبوا الأموال (التوراة : أخبار الأيام الثانى ، إصحاح ٢١: ١٦ – ١٧ ، ٢٢: ١) .

(24) ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٢٤ ، ١٠٢ ، ٢٠١ .

وانظر أيضاً : سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ١٩٧٧ .- ص ص ١٠، ٩٩ ، ١٠٢ .

cf., H. D. F. Kitto, Op. Cit., P. 68 .

(25) - Strabo, X, 5-6 .

وانظر أيضاً : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٦١ ، ٦٦ ، ٢٣٦ .

(26) سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ص ٦٨ - ٦٩ .

وأنظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(27) - W. A. Laidlaw, A History of Delos, Basil Blackwell, Oxford, London, 1933, P. 1 .

وكذلك مثل الحلف البيلوبونيزى الذى تكون بزعامة أرجوس ضد إسبرطة ، بناء على عرض من كورنثة .

..... καὶ οἱ μὲν ἄλλοι
ἐπ' οἴκου ἀπῆλθον, Κορίνθιοι δὲ ἐς Ἄργος
τραπόμενοι πρῶτον λόγους ποιοῦνται πρός τινας τῶ
ν ἐν τέλει ὄντων Ἀργείων, ... [Thuc., V, 27]

" ورحل الآخرون بعيداً عن المنزل ، بينما إلى أرجوس فقد وجه الكورينثيون الكلمات فى البداية حتى ينجزوا غاية الأرجيين الموجودين "

(28) سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ١٠٥ .

وأنظر أيضاً : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٤ ؛ ج ٧ .- ص ٩٣ .

cf., H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 136, 152 .

cf., Xenophon, Memorabilia, X, 209 .

(29) أرنولد توينى : المرجع السابق . ص ٤٧ .

(30) - Encyclopedia Britannica C D 99, " The Later Archaic periods, Sparta " .

(31) أرنولد توينى : المرجع السابق .- ص ص ٤٩ - ٥٠ .

قامت إسبرطة بتجريد حملة عسكرية ضد أركاديا بغرض تأديبها .

cf., Thuc., V, 33 : 1 - 16

(32) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 244 - 245

(33) - Arch., fr. 5 west .

cf., Albrecht Dible, A History of Greek Literature from Homer to Hellenistic Period, translated by, Clare Krojzl : London, 1994, Pp. 36 - 37 .

(34) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 18, 67 - 68 .

(35) لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- ص ١٠١ .

(36) - H. D. F. Kitto , Op. Cit., P. 19

. وانظر : ول ديورانت : قصة الحضارة .- مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٤٧ ، ١١٨ - ١٢٠ ، ١٣٩ - ١٤٠ .

(37) - P. E. Easterling and J. V. Muir, Greek Religion and Society, Camb- bridge Univer- sity Press, Cambridge, 1984, P. 102 .

وفي ملحمة الأوديسية لهوميروس ، تتحدث روح البطل أخيلليوس مع بطل الأوديسية أوديسوس ، بالكتاب الحادى عشر ، وتذكر أن فلاحة الأرض أفضل من الحكم على أرواح ميتة :

" βουλοὶμην κ' ἐπάρουρος ἐὼν θητευέμεν ἄλλῳ ,
ἀνδρὶ παρ' ἀκλήρῳ , ᾧ μή βίοτος πολύς εἴη ,
ἤ πᾶσιν , νεκύεσσι καταφθιμένοισιν ἀνάσσειν .
[Hom. Od., XI ,
489 – 491]

"أفضل أن أكون فلاحاً يفلّح الأرض أو أكون أجيراً لرجل فقير ليس له غير القليل من وسائل الحياة على أن أكون ملكاً على كل هذه الأرواح الميتة " . .

(38) - H. D. F. Kitto, Op. cit., Pp. 30 , 38 - 39 .

(39) لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى . ص ص ٤٠ – ٤١ .

وأنظر أيضاً : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مـج ٤ ؛ ج ٧ .– ص ص ٣٤٢ – ٣٤.

عندما تعاظمت مكانة أثينا بين المدن اليونانية ، فقد أخذت فى تأمين خطوط التجارة البحرية ببحر إيجة . وفى مقابل ذلك كانت تفرض أموالاً على المدن القادمة إليها هذه التجارة . وكانت أثينا بهذه الأموال تُحسّن من أحوالها ، وتصد غارات الفرس . وكانت أحيانا تستخدم هذه الأموال فى شن الغارات على المدن اليونانية الأخرى . ولكن كان هناك من المدن اليونانية من رفض هذه الطريقة الأثينية " Thuc., I, 3-75; III, 37 " وطلبت هذه المدن مساعدة إسبرطة ضد أثينا ، فوافقت إسبرطة وأخذت تحشد المدن معها ضد السيطرة الأثينية " Plutarch, Pericles " وفى عام ٤٣٠ ق.م. نشبت الحرب بين أثينا وإسبرطة ، وانضم المؤيدون لكلا الطرفين ، حتى شملت الحرب جميع بلاد اليونان . " Thuc., I, 2.58 - 65; I, 5. 139 -146" .

(40) ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مـج ٣ ؛ ج ٦ .– ص ص ١٩٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٥ .

وانظر : أرنولد توينبى : المرجع السابق .– ص ٨٥ .

لم يكتف اليونانيون بمهاجمة المدن المجاورة لهم داخل بلاد اليونان ؛ إذ خرجوا بأساطيلهم وأغاروا وحاربوا شعوباً أخرى غيرهم من أجل أراضيهم وثرواتهم المعدنية . وحاولوا احتلال كومای " Cumae " بجزيرة إلبا طمعاً فى مواردها المعدنية ، ولكنهم فشلوا فى تحقيق ذلك . وكذلك حاولوا احتلال الأراضى الإيطالية المجاورة طمعاً فى خصوبتها ، وكان لهم ما أرادوا باحتلالهم لإصبع قدم إيطاليا وتكوين ما يُطلق عليه ب " اليونان العظمى Magna Graica " هناك . ولرغبتهم فى ضرب التفوق الفينيقى التجارى بين البحر المتوسط ونهرى دجلة والفرات ، فقد أغاروا على منطقة مصب نهر العاصى وانشئوا هناك مدينة لهم هى بوسيديوم " Poseideium " .

([41]) لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- ص ١١٠ .

([42]) - P. E. Easterling and J. V. Muir, Op. Cit., Pp. 98 - 100, 113 .

ولقد كان لدى العرب ما يُعرف بالأشهر الحرم . وكانت هذه الأشهر فرصة للراحة من الحروب والغارات ، وكان حلف الفضول بمكة تعبيراً صريحاً عن الإيمان بقيم الخير والسلام .

انظر : وهب أحمد رومية : المرجع السابق . ص ٩٩ .

ومن بين الألعاب الرياضية المقدسة لدى اليونانيين القدماء كانت : الألعاب الأولومبية " Olympic games " ، والتى تُقام على شرف الإله زيوس كل أربع سنوات . والألعاب الإسثمية " Isthmian games " ، والتى تُقام كل خمس سنوات تكريماً للإله بوسيدون . والألعاب البوثية " Pythian games " ، وكانت تُقام على شرف الإله أبوللون ، وعلى شرفه أيضاً كان يُقامَ الاحتفال الديلى " Delian Festival " . والذى

بدأ الاحتفال به فى بداية القرن الثامن ق.م . والألعاب النيميـة " Nemean games" ، والتى كانت تُقام على شرف الإله زيوس كل خمـس سـنوات . واحتفالات الباناثينايا " Panathenaea festivals " والتى كانـت تُقـام تكريماً للربة أثينا كل أربع سنوات . وكان هناك أيضاً الأعياد الثيسموفورية " The Thesmophoria festivals " ، والتى كانـت تُقـام تكريمـاً للربـة ديميتر.

cf., W.A. Laidlaw, A History of Delos, Basil Blackwell, Oxford, London, 1933, Pp. 13, 46 .

cf., H. D. F. Kitto, Op. Cit., P. 173

cf., P. E. Easterling and J. V. Muir, Op. Cit., P. 101

ويروى المؤرخ ثوكوديديس ، أن الحرب البيلوبونيزية قد توقفت وهـى فـى وهجها عام٤١٣ ق.م بسبب الألعاب الإشمية " Isthmios " ، واحتراما لها .

([43]) سيد أحمد على الناصرى : المرجـع الـسابق .- ص ص ١١٤ - ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

([44]) كانت مناطق الاستيطان يُطلق عليها اسم " Apoekia " . وكانت المدينة الجديدة صورة طبق الأصل من المدينة الأم ببلاد اليونان .

انظر : خليل سارة : المرجع السابق .- ص ص ٢٩ - ٣١ .

انظر أيضاً : أرنولد توينبى : المرجع السابق .- ص ص ٤٦ - ٤٧ .

([45]) لقد أنشأ اليونانيون مستوطنات كثيرة لهم فى آسيا الـصغرى وصـقلية وجنوب إيطاليا ، وفى سيراكوزة وجنوب أوروبا ، وفى شمال أفريقيا ووادى النيل . ولقد شملت قورينى ونقراطيس . إضافة إلى منطقة البحـر الأسـود وطراقيا ، وشمال غرب حوض بحر إيجة والساحل الغربى لـبلاد اليونـان والبحر الأدرياتيكى .

انظر : سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ص ١٣٦ - ١٧٧ .

(46) فى الأوديسية بالكتاب الخامس يقوم أودوسيوس بصنع طوف بنفسه ، ويسحل الخشب ويشده ويربطه بجوار بعضه البعض ، حتى صار طوفاً جيداً.

αὐτὰρ ὁ τάμνετο δοῦρα · θοῶς δέ οἱ ἤνυτο ἔργον .
εἴκοσι δ' ἔκβαλε πάντα , πελέκκησεν δ' ἄρα χαλκῷ ,
ξέσσε δ' ἐπισταμένως καὶ ἐπὶ στάθμην ἴθυνεν .

.....

τέτρηνεν δ' ἄρα πάντα καὶ ἥρμοσεν ἀλλήλοισιν ,
γόμφοισιν δ' ἄρα τήν γε καὶ ἁρμονίῃσιν ἄρασσεν .
[Hom. Od., XV; 243 - 245, 247 - 248]

" ولكنه قطّع الأشجار . وأتم عمله بسرعة وسحب العشرين شجرة جميعها ثم شكّلها بفأسه البرونزية وسحلها بمهارة وقوّمها .... وبعد أن ثقبها جميعها ، شدها ببعضها البعض ، ثم ربطها بالمسامير والكلابات معاً " .

Cf., H. D. F. Kitto, Op. cit., Pp. 40 - 41 .

(47) أحمد أمين : فجر الإسلام .- ص ص ١٠ - ١١ ، ١٨ - ١٩ ، ٦٢ .

(48) أحمد امين و زكى نجيب محمود : المرجع السابق .- ص ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ٣٦١ .

(49) أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ص ١٣ ، ١٦ - ١٩ .

(50) أحمد أمين و زكى نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم .- ص ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٤٠٤ .

وذلك عكس ما رأيناه فى ملحمة الإلياذة لهوميروس ، والتى ذكر فيها محاسن البطل الطروادى هيكتور ، وكيف كان أنموذجاً للبطل البعيد عن التعصب الأعمى ، والذى يعلم جيداً قدرته ، وقدرة ومكانة عدوه ، دون عجرفة أو تخيل كاذب .

([51]) يميل المزاج العربى بطبعه إلى النزعة الانفصالية ، ولذلك وجدنا هناك تكتلات عصبية قبلية سادت منطقة الجزيرة العربية قبل الإسلام . وذلك لأن العربى كان يرتبط بالقبيلة التى تحميه ويحميها ، وإذا لم تحقق له الحماية المطلوبة ، انفصل عنها وبحث عن أخرى . فوطنية العربى وطنية قبلية عصبية أكثر منها شعبية .

انظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ١٤٠ ، ٣٧٣ - ٣٧٤ .

وانظر أيضاً : أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ص ٢٠ ، ٦١ .

([52]) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ - ٢٩٠ ، ٣٤٠ .

([53]) - Encyclopedia Britannica CD 99, " Arabia"

وانظر أيضاً : أحمد أمين ك فجر الإسلام . ص ٢١ .

([54]) أحمد امين و زكى نجيب محمود : المرجع السابق .- ص ٣٦١ .

ويجب إدراك أن حياة بمثل هذه الأحداث ، وما فيها من حرب وغارة وكر وفر ، قد قامت على الرجل دون المرأة . وذلك على الرغم مما كان للمرأة من دور وأثر فى أحكامها على الأمور ، مثلها مثل الرجل تماماً . ولكنها لم تكن تشترك فى الحروب ولا يعتمد عليها فى هذا المضمار ، ومن ثم انحطت مكانتها وقل قدرها ، فى الحياة العربية قبل الإسلام .

انظر : أحمد أمين . فجر الإسلام . ص ص ٢٠ - ٢١ .

([55]) وهب أحمد رومية : المرجع السابق .- ص ص ٩٢ - ٩٣ .

ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار الفوارق التى كانت بين عرب شمال الجزيرة العربية وجنوبها . فلقد كان سكان الجنوب يعيشون حياة استقرار فى

حين عرب الشمال يغلب عليهم البداوة والترحال . وكان هناك اختلاف فى اللغة أيضاً بين عرب الشمال وعرب الجنوب . فلغة اليمن بالجنوب كانت أكثر اتصالاً باللغة الحبشية ، فى حين لغة الشمال كانت أكثر اتصالاً باللغة العبرية والنبطية . وكان ذلك مؤشراً للتفاوت والاختلاف فى الثقافة العقلية بين الشمال والجنوب . وبالطبع فالغلبة كانت للجنوب على الشمال .

أنظر : أحمد أمين : فجر الإسلام .- ص ص ١٢ - ١٣ .

(56) -http:www-adm.pdx.edu/user/sinq/greekciv /arts /greeklit /homer.html.

(57) ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ١٩٩ .

(58) إبراهيم عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ٢٥ .

لقد اتصل العرب بما جاورهم من أصحاب الحضارات القديمة مثال المصريين القدماء . ونقلوا عنهم بعضاً من أفكارهم ومعتقداتهم الدينية . ومن أثر ذلك النقل ، أننا وجدنا أن الكلب وهو من الحيوانات المقدسة "Totem" عند المصرى القديم ، إلا أنه عندما نهش جسد العجل المقدس أبيس ، فلقد أستنزل عليه المصريون القدماء اللعنات ، حتى قلت مكانته وقدسيته . وعندما تسامع سكان المنطقة العربية بهذه اللعنة دخل الكلب الشعر العربى وصارت له صورتان يرد بهما فى الشعر الجاهلى . ففى قصائد المدح والفخر يكون الكلب مقتولاً من الثور ، وفى حالة الرثاء والعظة يكون الثور مقتولاً من الكلب . وقد تأكد العرب بأن الكلب النجم فى السماء لا يمكن أن ينال من النجم الثور مع أنها تسير فى ركاب النجم الصياد المسمى بالجبار.

انظر : أحمد كمال زكى : " التفسير الأسطورى للشعر القديم " ؛ مجلة فصول ؛ مج ١ ؛ ع ٣ ؛ إبريل ١٩٨١ .- ص ١٩ وما بعدها .

(59) لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- ص ص ١٩ ، ٢٥، ٣١ .

وانظر : خليل سارة : المرجع السابق .- ص ص ٢٣ - ٢٦ .

(60) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., P. 31 .

وانظر : ول ديورانت : قصة الحضارة . مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٤٢ - ٤٣ .

(61) - Hom. Od., XV, 390 - 484 .

cf., H.D.F.Kitto, Op. Cit., P. 41 .

(62) ول ديورانت : قصة الحضارة . مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ١٣٠ - ١٣٣ .

وانظر : خليل سارة : المرجع السابق .- ص ص ٢٤ - ٢٨ .

(63) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة . ص ص ١٣٤ - ١١٣٨ .

وذلك لأن عرى التماثيل كان سمة لفن النحت اليونانى دون غيره . وكان النحت العربى يتميز بالاحتشام الذى لم يعرفه اليونانى . ولقد أنتقل التأثير اليونانى للعرب عند الاتصال بينهما .

(64) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ١٤٢ - ١٤٧ .

(65) " لم ينقص العرب شئ مما حفلت به أساطير الإغريق " فالبنطور " عند الإغريق هو كالغول عند العرب . وإن لم تكن الصورة تامة الشبة ، فإن

ورود الصورة على هذا النحو عند العرب يثير موضـــوع انتقـــال الأفكـــار والعقائد ، والتى لا تعرف الحدود أو القوميات .

انظر : مصطفى الشورى : الشعر الجاهلى . تفسير أســـطورى ؛ ط ١ . – دار المعارف ؛ القاهرة .– ١٩٨٦ .– ص ٤٣ .

وانظر أيضاً : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .– ص ص ٣٨٨– ٣٨٩ .

(66) التوراة : نبوءة يوئيل ، إصحاح ٦ : ٣ – ٨ .

(67) - Hom. Od., IV, 84 ., XV, 426 .

إذ تشير الإشارة الأولى إلى قوم بلفظ " Eremboi " ويؤكد زينون " Zenon " وبوسيدونيوس " Poseidonius " ومن بعدهما سترابون " Strabon "على أن المقصود بهذا اللفظ هم العرب ، ويمكن تصديق ذلك خاصة وأن النصوص الآشورية تورد العرب بلفظ قريب مما استخدمه هوميروس . وقد عرف اليونانيون العرب عندما اتصلوا بالآشوريين . وكذلك تستخدم الإشارة الثانية التى وردت عند هوميروس لفظة قريبة لمااستخدمته النصوص الآشورية من إشارة للعرب ، وخاصة عام ٧٠٣ ق.م من عهد سنحريب . وهى كلمة " Arbas أو Arybas " كأســـم علم لوالد امرأة فينيقية من صيدون .

(68) καὶ κούρην Αράβοιο, τὸν Ερμάων ἀκάκητα
γείνατο καὶ Θρονίη, κούρη Βήλοιο ἄνακτος.
[Hesiod., Katalogoi Gynaikon Eoiai, 15]

" وفيما يخص فتاة العرب . وثرونيا المؤدبة التى وُلِدت من الهيـــرمين وفتاة ملك بيلوس ".

([69]) فى مسرحية الفرس والتى كتبها أيسخولوس وعرضها عام ٤٧٢ ق.م ، تحدث فيها عن غزو الفرس لبلاد اليونان ، وعن معركة سلاميس التى دارت بينهما ، وقد وردت بها كلمة عرب كاسم علم لرجل :

καὶ Μῶγος Αραβος, Αρτάβης τε Βάκτριος,
σκληρᾶς μέτοικος γῆς , ἐκεῖ κατέφθιτο.
[Aesch. Persae, 318 - 319]

" أرابوس – عربى – وماجوس ، أرتابيس وأيضاً باكتريوس ، المهاجر من أرض قاسية ، وقد دُمِرَ هناك " .

والإشارة الثانية جاءت فى مسرحية بروميثيوس مغلولاً . وقد جاء بها حديث عن زهرة شباب " Arabia " الذين يحمون بأسلحتهم الحصون المنيعة على حدود القوقاز . (أيسخولوس ، بروميثيوس مغلولاً : سطور ٤٢٠ – ٤٣١) . ومن المعروف أن العرب كانوا يشكلون أفراداً فى الجيش الفارسى الذى يقوده ملكهم اكسيركسيس .

انظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .– ص ١٩٦ .

([70]) لطفى عبد الوهاب يحي : نفس المرجع .– ص ص ١٩٦ – ١٩٨. وهامشى ١ و ٢ .

ترد كلمة " Arabia " عند هيرودوتوس بمعنى سيناء فى II, 11 ، وتعنى الصحراء الشرقية لمصر فى II, 75 ، وتعنى بادية بلاد الشام فى III, 5, 7, 9 ، وتعنى المنطقة الواقعة بين وادى الرافدين وخليج السويس فى II, 39 . وفى الكتاب الثالث من تواريخ هيرودوتوس فأنه يرى أن بلاد العرب هى أقصى البلاد المعمورة فى العالم نحو الجنوب – بالنسبة لبلاد اليونان بالطبع III, 107 – وأن أريج الطيِّب يملأ جو هذه البلاد III, 113

(71) - W. W. Tarn, Hellenistic civilization, London, 1953, Pp. 281 - 283 . وانظر أيضاً : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة . ص ٤٢٢ .

(72) - Arrianos: Anabasis, VII, 20: 8 -10 ; Strabon : XVI, 4:4, 1:11, 3:2,3,5,7

إذ يأتى اسم لجزيرة عربية وصلت الحملة الاستكشافية إليها عند كل من أريانوس وسترابون . ويطلق كلاهما على هذه الجزيرة اسم " Tyrus " . وما هذه الجزيرة إلا البحرين الحالية . وهذا يعنى وصول الحملات العسكرية والاستكشافية اليونانية إلى أقصى السواحل الشرقية للجزيرة العربية

(73) II, 19: 12; 28, 12- . - 14 ; 1:5; I, 19:11, 15 انظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ٢٠١ - ٢٢٧. وانظر أيضاً : إبراهيم عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ٣٦ .

(74) - Strabo: XVI, 4:22 .

(75) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ٤٢٠ .

(76) إبراهيم عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ٣٦ .

(77) أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٧ - ٣٦ ، ٤٢ - ٤٨ ، ٢١٦ .

(78) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 15 – 1

وانظر : لطفى عبد الوهاب يحى : اليونان . مقدمة فى التاريخ الحضارى .- ص ص ٩١ ، ١٠١ .

وانظر أيضاً : ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مـــج ٣ ؛ ج٦ .- ص ٢٣٤ .

(79) سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق . ص ص ٧٧ – ٧٨ .

(80) أرنولد توينبى : المرجع السابق .- ص ص ٢٧ – ٢٨ .

وانظر أيضاً : سيد أحمد على الناصرى : المرجع الـــسابق .- ص ١١ .

(81) ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٧١ – ٧٢ ، ١٠٦ .

وانظر : سيد أحمد على الناصرى : المرجع السابق .- ص ص ٦٨ – ٦٩ .

cf., C. Bakewell, Source Book in ancient philosophy, N.Y., 1909, P. 278

ويأتى يوريبيديس ، فى مسرحيته الطروادیات ، بسبب أخر للحرب على لسان مينيلاوس زوج هيلينى ؛ عندما قال بأنه حشد الجيـــوش وجـــاء إلىطروادة ليس لأخذ وعودتها هيلينى ، ولكن لمعاقبة من دخل بيته وسرق زوجته . سطور ٨٦٠ – ٨٦٥ .

(82) - H. D. F. Kitto, Op. Cit., Pp. 16 - 17 .

(83) ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ مج ٣ ؛ ج ٦ .- ص ص ٨٠ ، ٩٤ – ٩٦.

(84) - K. H. D. Kitto, Op. Cit., Pp. 44 - 59 .

وانظر : أرنولد توينى : المرجع السابق .- ص ص ٣٧ – ٣٨ .

(85) - Hom. Od., IX; 47 - 61 .

cf., D. C. Pozzi & J. M. Wickershan , Myth and the Polis , Ithaca & London, 1991, P. 51 .

cf., N. R. E. Fisher , Hybris , A study in The Values of Honour and Shame in Ancient Greece , England , 1992 , P. 158 .

(86) - Hom. Od., IX , 116 – 124 .

(87) - D. C. Pozzi , Op . Cit ., P. 59 .

ويشير هوميروس وبصراحة بالغة فى الأوديسية إلى خوف بعض القبائل من إغارة بعضهم على البعض . إذ ترد هناك عبارات تشير إلى استكشاف العالم المحيط وأخرى تشير إلى الصراعات واحتلال الأراضى . مما يجعل من أودوسيوس مستكشف رحالة مُغير يبحث عن الأراضى التى يمكن احتلالها واستعمارها وأخرى يتم استكشافها .

cf., I. Malkin , The Returns Of Odysseus , Colonization and Ethnicity, London, University of California Press, 1998, Pp.4, 160, 190 .

(88) - I. Malkin, Op. Cit., P. 190

(89) ويذكر أبوللونيوس الرودى فى ملحمته الأرجوناوتيكا الكثير من صور توتر العلاقات والغارات بين الممالك المتجاورة . ومنها : الصراع الدائم بين الماريانديين وكل من الميسينيين والفروجيين والبافلاجونيين ، وكذلك بين الكولخيين والسورماتاى .

cf., Apol. Arg., II; 781 - 795, III; 351 - 353

أنظر : ه . ج . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ؛ ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد . – الألف كتاب الثانى ؛ ع ١٥٧ ؛ مج ٢ .– الهيئة

المصرية العامة للكتـــاب : القـــاهرة .- ١٩٩٤ .- ص ص ٣٣١ ، ٣٤٢ .

وأنظر: س . م . بورا : التجربة اليونانية ؛ ترجمة : أحمد ســـلامة .- الألف كتاب الثانى ؛ ع ٦٧ .- الهيئة المصرية العامة للكتاب : القـــاهرة . - ١٩٨٩ .- ص ٢٩ .

cf., I. Malkin , Op. Cit., P. 14

(90) - Eur. Troid., 190 - 205 .

(91) أحمد امين و زكى نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم .- ص ص ٣٦١ ، ٤٠٣ .

(92) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ؛ ط١٣ .- دار المعارف : القاهرة .- ص ٤١٥ .

وانظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة .- ص ص ٢٤٦ ،٢٧٢- ٢٧٦ .

(93) أحمد امين و زكى نجيب محمود : المرجـــع الـــسابق .- ص ص ٣٦٨ ، ٤٠٣ .

وانظر : لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العـــصور القديمـــة .- ص ص ٣٩ ، ٢٨٤ – ٢٨٥، ٣٦٧ – ٣٦٨ .

وأنظر أيضاً ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ص ٢٦ ، ٣٤ ، ١٠٥ .

(94) وهب أحمد رومية : المرجع السابق .- ص ١٥١ .

(95) لطفى عبد الوهاب يحى : العرب فى العصور القديمة . ص ص ٢٨٠ ، ٢٩٤ – ٢٩٥، ٤٠٠ .

(96) وهب أحمد رومية : المرجع السابق .- ص ص ١٢٣ ، ٢٢٢ – ٢٢٤ . وأنظر أيضاً : إبراهيم عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ٣٩ .